م/19

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ــ أدرار ــ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسـم اللغة العربية وأدبـها

التفكير العلمي في الدرس اللغوي العربي

" دراسة تحليلية في كتاب الخصائص لابن جني"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل درجة الليسانس

إعداد الطالبة:

صبيحة الجيلالي

بإشراف الأستاذ:

عبد العزيز أبليلة

السنة الجامعية

1427 ــ 1428هـ

2006 ــ 2007م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية ــ أدرار ــ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قســم اللغة العربية وأدبــها

التفكير العلمي في الدرس اللغوي العــربــي

" دراسة تحليلية في كتاب الخصائص لابــن جنــي"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل درجة الليسانس

إعداد الطالبة:
صبيحة الجيلالي

بإشراف الأستاذ:
عبد العزيز أبليلة

السنة الجامعية
1427 ــ 1428هـ
2006 ــ 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

قرآن كريم

الله قَالَ يَا قومِ أرأيتمْ إن كنتُ على بيّنَةٍ من ربي ورَزَقَنِي

منهُ رزقاً حسناً ومَا أريدُ أن أخَالفَكُمْ إلى مَا أنهاكُمْ عنهُ إن أريدُ إلاّ

الإصلاحَ ما استطعتُ ومَا توفِيقي إلاّ باللهِ عليه توكّلتُ وإليهِ

أنيبْ الله

سورة هود الآية 88

شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾.

الحمد والشكر لله على جزيل نعمه.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

أتقدم بالشكر الخالص لأستاذي المشرف: "عبد العزيز أبليله" الذي لم يبخل علي بتوجيهاته خلال هذه الأشهر. جزاه الله كل خير.

. كما أتقدم بالشكر والعرفان لجميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها،

كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من مد لي يد العون في إبداء ملاحظة أو تقديم معلومة، وأخص بالذكر الأستاذ إبراهيم بلبالي الذي حرص على طباعة هذا العمل وإخراجه على هذا الشكل، والأخ إدريسي أمحمد الذي كان نعم الأخ خلال أربع سنوات من مشواري الجامعي والأخت رقية زايدوالني كانت لي عونا.

وأشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

صبيحة

إهداء

إلى منبع العطاء والحنان . . . والدي العزيزين.

إلى إخوتي . . . وأخواتي.

إلى جميع من كان يحمل في صدره نية خالصة لطلب العلم ابتغاء وجه الله تعالى.

إلى طلاب الجامعات . . . رواد العلم والحضارة.

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد الفكري.

صبيحة

مقدمة

التفكير ألصق ميزة بالإنسان، فما هو إلا بتفكيره، وإعماله عقله وتسمو إنسانيته إن فكر تفكيرا علميا؛ أي أنه اتبع منهجا يصل به إلى نتائج كان يريد الوصول إليها كلها أوبعضها.

الإشكالية:

والعربي متهم في قدرته على تبني هذا النمط من التفكير، واستغلاله في أبحاثه المختلفة، من هنا قررت أن أقوم بهذا البحث الذي عنون بالتفكير العلمي في الدرس اللغوي العربي ((دراسة تحليلية في كتاب الخصائص لابن جني)) إذ رأيت أنه من خلال تتبع سمات هذا النمط من التفكير عند ابن جني في خصائصه يمكنني أن أصل إلى تأكيد فكرة آمنت بها، ومؤدّاها أن العربي لم يكن يوما بليدا، أو فاقدا لمنطلقات التفكير العلمي، وخاصة بعدما لقحت ثقافته العربية بالعلوم الشرعية.

إن الذي دفعنا للبحث في هذه الإشكالية هو:

أ ــ حاجة العربي للعود إلى تراثه واستخلاص كل ما يتصل بالفكر التراثي لدى أسلافه.

ب ــ الرغبة في نفي الفكرة القائلة بعدم وجود منهجية، ومنهج علميين في المؤلفات اللغوية العربية، وهذا باستخلاص الحكم من الجزء للوصول به إلى الكل.

كل هذا تكون مباحثته من خلال كتاب الخصائص، وهذا لأن اللغة روح ثقافة المجتمع ووعاؤها، فإدراك النظام اللغوي في شكله، واستعمالاته، هو إدراك الإنسان ومعرفة تفكيره.

ومن هذه الدوافع اكتسب الموضوع الأهمية المتمثلة في:

أوّلاً: معرفة تفكير ابن جني اللغوي يؤدي إلى معرفة تفكير عصره، ومدى توفره على ضوابط التفكير العلمي.

ثانيًا: معالجة موضوع التفكير العلمي في الخصائص تمكّن من الاطلاع على إبستمولوجية اللغة عند صاحبه.

ولأن الموضوع على هذا القدر من الأهمية أردت الوصول بمباحثته إلى أهداف هي:

ـ 1ـ إثبات وجود سمات التفكير العلمي لدى العربي، والاستفادة منه في أبحاثه اللغوية.

ـ 2 ـ التأكيد على أهمية العود إلى تراثنا اللغوي، فهو البحر الذي لا ينفد.

ـ 3 ـ إعادة الاعتبار للدرس اللغوي العربي تطبيقا وتنظيرا.

ولأجل تحقيق هذه الأهداف سار البحث وفق منهج وصفي تحليلي، استحضرته حين عالجت مسألة منهجية التأليف في كتاب "الخصائص"، وإظهار إيجابياتها ونقائصها، مع أن هذا المنهج رافق البحث في كامل جزئياته، إلا أنه دُعّم بالمنهج المقارن والذي استخدمته في المواضع التي تتطلب المقارنة بين منهج ابن جني البحثي والمنهج اللغوي الحديث.

أما أهم المؤلفات التي مثلت المنطلق الرئيس لهذا العمل فهي:

ـ الخصائص لابن جني

ـ المنهج الوصفي في كتاب سيبويه لنوزاد حسن أحمد.

ـ التفكير العلمي لفؤاد زكريا.

ـ التفكير العلمي في النحو العربي، لحسن خميس الملخ.

وسعيا لإيفاء البحث حقه من الترتيب وزع على مدخل وأربعة فصول بعد المقدمة، وخاتمة للنتائج، وقد فضلت التدرج في الفصول وفق نظام يتضمن الترابط المنطقي بينها، فالمدخل حوى حديثا عن التفكير العلمي، ومفهومه، وخصائصه. ثم تلاه التعريف بكتاب الخصائص، وصاحبه.

بعد هذا المدخل الذي كان بمثابة أرضية تمهد طريق المطلع على البحث جاء الفصل الأول الذي عنون بـ " منهجية التأليف في كتاب الخصائص "، ويراد منه التوصل إلى إدراك طريقة ابن جني في التأليف، وقد جاء سابقا تقديما للشكل على المضمون.

وحمل الفصل الثاني عنوان " تقنيات المنهج في كتاب الخصائص " إذ جاء ليتلمس منهج المؤلف في دراسة الظاهرة اللغوية، واكتشاف تقنيات المنهج الوصفي، وقد اقتصر الفصل على ثلاثة منها هي: الاستقراء، والتحليل، والتعليل.

ولتوضيح الرؤية أكثر جاء الفصل الثالث، والذي تضمن المستويات اللغوية في الكتاب، وفضلت البدء بالصوت لأنه العنصر الرئيس لتشكيل اللغة مرورا بالصرف، والنحو، ووصولا للدلالة.

وآخر فصول البحث عنون بـ " سمات التفكير العلمي في كتاب الخصائص"، وهو فصل قسمت مباحثه على حسب عدد هذه السمات، فكان جامعا بين الفصول الثلاثة السابقة له.

وختمت البحث بخاتمة ضمنتها حوصلة عامة للبحث، ثم إحصاء للنتائج المتوصل إليها من خلاله.

ولما كان كل طريق لا يخلو من عثار، فقد اعترضت طريق البحث إشكالية قلة المادة المعرفية، خاصة إذا ما تُحُدِّث عن نوع التعامل معها، وكيفية استغلالها لصالح هذا العمل.

المدخل:

أولا: التفكير العلمي؛ مفهومه، وخصائصه.

ثانيا: التعريف بابن جني، وخصائصه.

أولا: التفكير العلمي؛ مفهومه، وخصائصه

إن فقه مفردات العنوان مدخل مهم على مباحث الموضوع، لذلك رأيت أن تكون هذه الصفحات شرحا لمفاصل العنوان واحدا تلو الآخر سعيا إلى وضع القارئ أمام الصورة الحقيقية للإشكالات المراد بحثها في هذا المقام.

وأولى تلك المفردات ــ وربما أهمها ــ هي التفكير (pensére)، يقول صاحب الصحاح: " التفكير من الفكر وهو ما وقع في خلد الإنسان وقلبه، والتفكير هو التأمل، الاسم الفكر والفكرة والمصدر الفَكر ــ بالفتح ــ وقيل هو تردد القلب في الشيء حتى يستقر، فكر في أمره وتفكر وأفكر، ورجل فِكير، كثير الإقبال على التفكير[1].

هذا معنى التفكير في الوضع اللغوي، أما مفهومه الاصطلاحي؛ فقد اختلف الباحثون في التعبير عنه، فالكلمة عند جميل صليبا تفيد << إعمال العقل، وترتيب بعض ما يعلم ليصل بذلك الإنسان إلى المجهول، ويقال: فكر في المشكل أعمل الروية فيها ليصل إلى حلها، والتفكير عند معظم الفلاسفة عمل عقلي .. ويطلق على كل نشاط عقلي >>[2].

وقريب من هذا التعريف ما أورده كاتبان آخران حيث قالا: << التفكير بمعناه العام يطلق على ما يقابل الوجدان والنزوع، وبمعناه الخاص على دور العقل ... >>[3].

وإذا كان الباحثان المشار إليهما قد قسما التفكير قسمين خاصا وعاما، فإن غيرهما قد رأى أن التفكير << ثلاثة أنماط مختلفة الأول: يقصد به التفسير أو التعليل.

---

(1) ــ الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4/ ،(1990م) مادة (ت ف ك ر) 873/2 .
ينظر: معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية، عادل عبد الجبار زاير،مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط/1 (1997م)، 115.

(2) ــ المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية)، جميل صليبا ، دار الكتاب، لبنان (1982م)، 318/1 .

(3) ــ مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي الحديث، د:عبد الرحمن محمد العيسوي وعبد الفتاح محمد العيسوي ، دار راتب، (د ط) ، (1996-1997م)، 36 .

والثاني: هو التعميم، ويقصد به الوصول إلى قاعدة من القواعد.

أما الثالث: فهو التطبيق.

والأسماء الاصطلاحية لهذه الثلاثة في علم المنطق هي على التوالي الفرض، والاستقراء والقياس ... >>[1].

إلا أن صاحب المعجم المفصل قد حدد نوعين للتفكير حسب الغاية المرادة منه، فيقول: << التفكير نشاط إنساني له شكلان، فإما أننا نفكر لنعرف الحقيقة أو ما يمكن أن يكون حقيقة، وإما أن نفكر لنستقر على رأي معين >>[2].

من خلال ما جاء في الأسطر السابقة، نجد اختلافا في تحديد أنواع التفكير فهناك من يقسمه إلى معنيين خاص وعام، وغيره يراه ثلاثة أنماط، ثم يأتي آخر ويرى أن التفكير يقسم حسب الغاية منه، إلا أننا نجد اتفاقا على أن التفكير عمل إنساني عقلي وباطني في الآن ذاته.

وثاني مفردات العنوان كلمة "العلمي" التي هي وصف للمفردة الأولى وكما أرجعنا الكلمة الأولى إلى أصلها اللغوي تمهيدا إلى تعريف معناها الاصطلاحي فكذلك نفعل بالكلمة الثانية، وما دامت الكلمة منسوبة، فإن الخطوة الأولى تقتضي حذف علامة النسبة ــ وهي الياء ــ ثم تحديد المعنى اللغوي لكلمة "علم".

جاء في اللسان: << ... والعلم نقيض الجهل، علم علما وعلم هو نفسه ورجل عالم وعِلم من قوم علماء ... قال سيبويه: يقول علماء من لا يقول إلا عالما. قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابسة صار كأنه غريزة >>[3].

هذه دلالة العلم في الوضع اللغوي، أما مفهومها الاصطلاحي فهو كما يقول جميل صليبا: <<العلم " science "... هو الإدراك المطلق تصورا كان أو

---

[1] – المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 318/1. .

[2] – المعجم المفصل في الأدب ، د: محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1 (1413هـ/1993م)، 272/1 .

[3] – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ، لبنان، (د ط) ، (د ت) ، 416/3 .

تصديقا ... وقد يطلق على التعقيل، ... والعلم مرادف المعرفة " connaissance "، إلا أنه يتميز عنها بمجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم >>[1].

إذن الوحدة والتي تعني الترابط والتسلسل بين المعارف لبشرية تجعل منها معرفة علمية ــ حسب رأي ــ والعالم إن تأكدت له نظرية علمية على عينة عممها على شبيهاتها.

يستخلص من التعريف السابق أن أي معرفة إنسانية اتصفت بالوحدة والتعميم يمكن نعتها بالعلمية، وبهذا نقول إن العلمي هو ما ينسب إلى العلم إذا اشتمل أو احتوى على مكونات حصرها أحد الباحثين في خمس: << الحقائق والمفاهيم والتعميمات والقوانين و النظريات >>[2].

سبقت الإشارة إلى أن مكونات العلم وهي خمس، وسيتناول هذا المدخل توضيحا لها، وهذا حسب ما جاء به الدكتور نشوان إن تفرقها كما يلي:

1ــ الحقائق[3]: هي بداية المعرفة العلمية، وهي معلومات بسيطة نحصل عليها بالملاحظة، وهي ليست ثابتة ثبوتا مطلقا.

2ــ المفاهيم[4]: هي مجموعة من المعلومات توجد بينها علاقة تتكون في الذهن تشتمل على صفات مشتركة تميز موضوعها.

3ــ التعميمات[5]: هي سلسلة مرتبطة من المفاهيم تصف الظاهرة وصفا كيفيا.

4ــ القوانين[6]: هي سلسلة من المفاهيم تصف الظاهرة وصفا كميا.

5ــ النظريات[7]: هي أقصى مراحل التجريد يتوصل بها لتفسير ما يجري من أحداث .

---

(1) ــ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 99/2 .

(2) ــ التفكير العلمي والتربية العلمية، د: يعقوب حسن نشوان، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط/2 (1426هـ / 2005م)، 5 .

(3) ــ المرجع نفسه، 8 ــ9 .

(4) ــ المرجع نفسه، 10 .

(5) ــ المرجع نفسه، 13 .

(6) ــ المرجع نفسه، 15 .

(7) ــ المرجع نفسه، 17 .

ويرسم الباحث نفسه لتوضيح العلاقات بين هذه المكونات وكيفية تراتبها في المخطط الهرمي الآتي[1]:

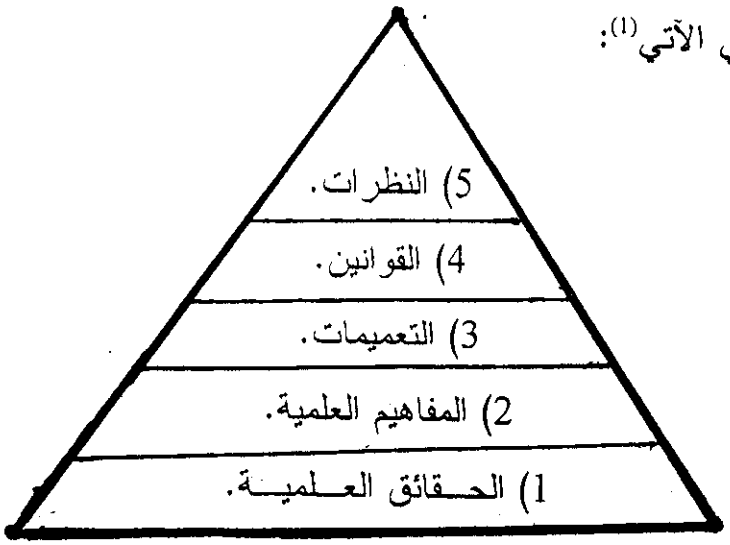

فإن كانت كل مفردة تحمل معنى في ذاتها فبإضافة الأولى إلى الثانية نحصل على تركيبة تحمل معاني خاصة نوجزها في التعريف التالي:

التفكير العلمي هو: << التفكير المنظم الذي يمكن استخدامه في شؤون حياتنا اليومية، وفي علاقاتنا مع العالم المحيط، والشرط الأساسي لهذا التفكير أن يكون منظما، حتى يمكن أن نصفه بأنه علمي >>[2].

إذن هذا النمط من التفكير يشترط فيه وجود النظام أو بمعنى آخر يشترط فيه وجود منهج. فمتى فقد هذا المنهج تحول هذا الهمل إلى العشوائية، ومنه يبتعد عن العلمية.

ولهذا التفكير مجموعة من السمات الرئيسة والخصائص الأساسية التي يتميز بها، أورد المتفق عليها من طرف جملة من الباحثين، وهي خمس:

1ـ التراكمية[3]: وهي تعني أن المعرفة العلمية لا تولد من عدم، بل لا بد لها أن تستفيد من المعارف السابقة لها، وأن تعطي للأبحاث اللاحقة.

---

(1) – التفكير العلمي والتربية العلمية، د: يعقوب حسن نشوان، 5 .
(2) – التفكير العلمي والمنهجية، د: حسن ملحم ، (د ط) ، (د ت)، 59 .
(3) – المرجع نفسه، 60 .

2ـ التنظيم[1]: هذه السمة التي جعل منها بعض الباحثين الحد الفاصل بين المعرفة العلمية المتوصل إليها بواسطة تفكير علمي وغيرها من المعارف، إذ النظام أو التنظيم يضمن للباحث الوصول إلى النتائج المرجوة من بحثه دونما تشتت أو عشوائية.

كما أنّ من سمات التفكير العلمي البحث عن الأسباب، وهذه السمة وجدتها تطابق بابا مهما في الدرس اللغوي العربي، وهو العامل والعلة النحويين. ورابع شرط أو سمات لهذا النوع من التفكير الدقة التجريد، فالدقة أتطرق لها في جزئية أباحث فيها قدرة ابن جني على ضبط مصطلحاته اللغوية ومواقفه من القضايا المختلف فيها، أما التجريد فالمقصود به البعد عن المحسوس، والتطلع إلى الإدراك الذهني، وآخر ميزة للتفكير العلمي هي الشمولية واليقين، وهذا يعني أن القاعدة العلمية لا تطبق في مكان أو زمان واحد فحسب، بل هي صالحة في كل الأمكنة والأزمنة، واليقين " هو عدم الشك "[2].

هذا ما يميز التفكير العلمي عن الأنماط الأخرى من التفكير، مما ينبه عليه فؤاد زكريا بقوله: << ليس التفكير العلمي هو تفكير العلماء بالضرورة، فالعالم يفكر في مسألة متخصصة، هي في أغلب الأحيان منتمية إلى ميدان لا يستطيع غير المتخصص أن يخوضه >>[3].

وعلى حد قول زكريا فإن التفكير العلمي عند العالم يكون موضوعه متخصصا يصعب على غيره أن يستوعبه، وإنما قد يجهل وجود ذلك الميدان أصلا.

ولأجل توضيح تلك السمات التفكيرية لدى ابن جني في خصائصه تأتي دراستي التحليلية لتفكيك مفردات درسه وتكشف سمات التفكير العلمي ضمنه.

---

(1) – التفكير العلمي والمنهجية، د: حسن ملحم، 64 .

(2) – الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، د: محمد إبراهيم النبوسي، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا (دط)، (د ت)، 96 .

(3) – التفكير العلمي، فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، (د ت)، 5 .

وثالث مفردة نرى ضرورة توضيحها في هذا المدخل هي مصطلح "دراسة تحليلية" وهي مركبة من كلمتين " دراسة " و " تحليلية " .

أما الكلمة الأولى فيقول عنها الزبيدي: << دراسة بالكسر والفتح، ودرساً ككتاب " قرأه " وكرر قراءته، وفي اللسان عاوده حتى انقاد لحفظه، ويقال درس الكتاب يدرس درسا، درسه بكثرة القراءة حتى خفف حفظه عليه >>[1].

هذا لغويا أما اصطلاحا فنجد المفردة في المعجم المفصل: << الدراسة هي البحث من قبل أحد الكتاب يتناول فيه موضوعا معينا في مسألة من المسائل العلمية " عن طريق التنقيب، والمتابعة والاستقراء والاستنتاج..." >>[2].

باستثمار التعريف الأخير تكون الدراسة المرادة هنا هي تلك البحوث التي قام بها الباحثون في مواضع لغوية، والسبيل إلى التعرف عليها هو الاطلاع على خلفوه من مؤلفات، وسيقتصر هذا البحث على أحدها. وذلك هو كتاب الخصائص لابن جني.

وأما كلمة " تحليلية " فهي صفة مشتقة من التحليل، وهو << رد الشيء إلى عناصره المكونة له، مادية كانت أو معنوية >>[3].

والتحليل المراد في هذه الدراسة هو المعنوي، ويكون بتفكيك المادة العلمية واللغوية في كتاب الخصائص، إذ من خلال ذلك نُمكن مكاشفة خصائص التفكير العلمي وأسسه فيه.

ثانيا: التعريف بابن جني وكتاب الخصائص.

1ـ التعريف بابن جني (قبل 330هـ 992م) :

أ ـ اسمه ونسبه: << هو عثمان بن جنب أبو الفتح الموصلي، من أحذق أهل

---

(1) – تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، 149.
(2) – المعجم المفصل في الأدب، د: محمد التونجي، 1/ 94 .
(3) – المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/2 ، (1984م)، 61 .

الأدب وأعلمهم، وعلمه بالتصريف أقوى من علمه بالنحو، وهذا سببه حادثة الجامع بالموصل والتي سيأتي ذكرها >>[1].

وينسب إلى أزد إذ يقول في آخر كتابه "المنصف" : << قال أبو الفتح عثمان بن جني الأزدي، فهو أزديٌّ بالولاء إذ كان أبوه روميا يونانيا، وكان مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي >>[2].

ب ــ مولده: يتفق كل من مؤلفي "تاريخ بغداد" و"المعجم المفصل في اللغويين العرب" على أن مولده كان قبل عام (330هـ) في الموصل[3].

ج ــ نشأته العلمية: نشأ ابن جني بالموصل وتعلم بها، يروى أنه كان يقرأ النحو بجامع الموصل فمر به أبو علي الفارسي، فسأله عن مسألة في التصريف فقصر فيها، فقال له أبو علي: (زَبَّبْتَ قبل أن تحصرم)، فلزمه مدة أربعين سنة واعتنى بالتصريف، ولما مات أبو علي تصدر ابن جني مكانه ببغداد، كان يناظر المتنبي في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئا من شعره أنفة وإكبارا وقال فيه المتنبي: (هذا رجل لا يعرف قدره الكثير من الناس)[4].

د ــ وفاته: يقول صاحب تاريخ بغداد: << كانت وفاته ببغداد على ما ذكر لي أحمد بن علي بن التوزي في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة >>[5].

ه ــ مصنفاته: ذكر صاحب تاريخ بغداد مصنفاته بقوله: << له كتب مصنفة في علوم النحو أبدع فيها وأحسن، منها التلقين، واللمع، والتعاقب في العربية، وشرح القوافي، والمذكر والمؤنث، وسر الصناعة، والخصائص >>[6].

---

(1) – تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تح: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط/1 (1417هـ 1997م) 158/11.

(2) – المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني)، تح: إبراهيم مصطفى وآخرون، ط/1 (1373 هـ / 1945م) مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، 3 .

(3) – المصدر السابق، 310/11.

(4) – المصدر نفسه، 310/11.

(5) – المصدر نفسه، 311/11.

(6) – المصدر نفسه، 311/11، 312 .

وله كذلك المحتسب في شواذ القراءات وشرح الفصيح، والمقتضب من كلام العربية، وكان المتنبي يقول: << أنه أعلم الناس بشعره وقد ألف شرحا لديوان المتنبي >>[1].

2ـ التعريف بكتاب "الخصائص*":

وكتاب "الخصائص" هو كتاب يدرس خصائص اللغة العربية والتي تميزها عن غيرها، وإضافة أداة التعريف أغنته هنا على أن يعرف بالإضافة، قدم الكتاب هدية إلى بهاء الدولة الملك في بغداد مع الخضوع للخليفة العباسي (379 ـ 403هـ) وذلك إذ يقول في ديباجته: << هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيد بهاء الدولة ... >>[2].

والخصائص كتاب نسج على منوال مؤلفات عصره، مع أن أحد البحثة يقول فيه: << قل أن تجد له نظيرا، ذلك لما يتسم به من جدة فكر وجرأة تحليل وحسن استنباط إلى جانب ما يحويه من فنون شتى من مسائل اللغة وغيرها، مما لا يكاد يستغني عنه باحث >>[3].

فهو إذن موسوعة علمية ضمنها صاحبها علوما شتى عرفت في عصره ـ سواء كانت لغوية أو عقلية ـ إذ يقول في ذلك الدكتور كاصد الزيدي: (يعد أبو الفتح عثمان ابن جني لغويا وصرفيا ونحويا بارعا... فضلا عن العلة العقلية من منطق وكلام وغيرهما ... وقد بث ذلك في ثنايا كتبه، ولاسيما كتابه الفذ الشهير "الخصائص")[4].

---

[1] ـ المعجم المفصل، د: محمد التونجي، 425/1 .

* ـ الخصائص من "خصص" ، و"خص"، يقول ابن منظور: خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخَصوصية، وخُصوصية، والفتح أفصح... واختصه بالشيء أفرده به دون غيره (لسان العرب، ابن منظور، مادة: (خ ص ص)، 841/2).

[2] ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/2 ، (1424 هـ / 2003 م)، 5/1 .

[3] ـ الفهارس المفصلة، (خصائص ابن جني)، د: عبد الفتاح السيد سليم ، كشافات تراثية 1 ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط/1، (1997م)، 5 .

[4] ـ ينظر: دراسات نقدية في اللغة والنحو، د: كاصد الزيدي، دار أسامة، عمان، الأردن، ط1، (2003م) 108.

ويضيف باحث آخر قائلا: << الخصائص هو أوفى ما نعرف من كتب ابن جني التي عرضت اللغة، وهو أيضا أوفى كتاب وضع في خصائص اللغة، ... ويخيل لقارئ الخصائص أن ابن جني لم يترك شيئا يتصل بالعربية إلا تحدث فيه>>[1].

يلاحظ بصورة عامة من آراء البحثة أن الكتاب حامل لثروة معرفية، ضمنه صاحبه خلاصة فكره، وقدرته على الاستنباط، والاستبطان، وإن كان ظاهر الكتاب يوحي إلى تخصصه في مجال اللغة، فإن قفاه يدل على غير ذلك، فالكتاب لا يحمل خصائص اللغة وحدها، وإنما يضم بين دفتيه خصائص فكر ابن جني وخصائص عصره المعرفية.

والتعرف على هذا الكتاب إنما يتم من خلال التدرج في البحث، وهو الذي سيتضمن كشف الناحية المنهجية والمعرفية في الخصائص، فإن ما يأتي من صفحات سيفي بالغرض إن شاء الله.

وقبل الحديث المفصل عن الكتاب وموضوعاته، لا بد من سبق التمهيد له بالحديث عن طبعاته خصائص كل منها، وهذا ترتيبها حسب التسلسل الزمني.

أ ــ أول من اعتنى بالكتاب هو الأستاذ محمد علي النجار، حيث حقق الكتاب، وضمن موضوعاته ثلاثة مجلدات إلا أنه اكتفى بالفهارس العامة. إذ يقول فيه عبد الفتاح السيد سليم واضع الفهارس المفصلة لهذا الكتاب: << وقد انصب جهد الشيخ محمد علي النجار ــ طيب الله ثراه ــ على تحقيق نص مخطوطة هذا الكتاب وضبط ما أشكل من لفظه، وشرح ما غمض من معناه، ... لكنه عند صناعة الفهارس لم يشأ أن يضعها مفصلة شاملة ... بل اكتفى بها فهارس مألوفة مطروقة >>[2].

وغياب الفهارس المفصلة لا يقلل من أهمية الكتاب، إذ نجد جل الدارسين الذين اقتضت بحوثهم الرجوع إلى كتاب الخصائص يعتمدون تحقيق النجار، الأمر

---

(1) ــ رواية اللغة، د: عبد الحميد الشلقاوي، دار المعارف، مصر، (د ط)، (د ت)، 297 .

(2) ــ الفهارس المفصلة، (خصائص ابن جني)، د: عبد الفتاح السيد سليم، 5 .

الذي صرح به أحدهم فقال: << ... وهو مطبوع طبعة علمية جيدة في ثلاثة أجزاء بتحقيق الأستاذ علي النجار >>[1].

ب ــ جاء الدكتور عبد الفتاح السيد سليم بفهارس مفصلة للطبعة السابقة المحققة.

ج ــ المحقق الثاني هو الدكتور عبد الحميد هنداوي، جاءت طبعته في ثلاثة أجزاء، ثالثها ضمنه فهارس الكتاب، ولأنها الطبعة المعتمدة في البحث، فإنه يمكن أن أحكم أن هذه الفهارس سهلت الوصول إلى الموضوعات المراد مباحثتها.

د ــ وهناك تحقيق آخر حصلت عليه مؤخرا وهو ما قام به عبد الحكيم بن محمد، نشرته ووزعته المكتبة التوفيقية، جاء في ثلاثة أجزاء، أما الفهارس فجاءت عامة شبيهة بتلك التي قام بها الأستاذ النجار.

---

[1] ــ النصوص اللغوية (نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة) د: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط/3، (1401هـ/ 1981م) 12.

الفصل الأول: منهجية التأليف في كتاب الخصائص

المبحث الأول: منهجية كتابة المقدمة.

المبحث الثاني: منهجية التبويب في الخصائص.

المبحث الثالث: منهجية عنونة الأبواب.

الفصل الأول: منهجية التأليف في كتاب الخصائص:

إن كثيرا ممن اقتضت بحوثهم الرجوع إلى كتاب الخصائص، كانوا يعانون صعوبة البحث لتداخل الأبواب والمسائل فيه، لأجل تذليل هذه الصعوبات جاء هذا الفصل الذي يكاشف منهجية الخصائص.

إن المنهجية << هي طريقة تنظيم المعلومات، بحيث يكون عرضها عرضا منطقيا سليما متدرجا بالقارئ من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول>>[1]، وبناء على هذا سيتمحور هذا الفصل حول تجليات هذه الآلية العلمية في المادة اللغوية والمعرفية عند ابن جني، وهذا بالاعتماد على منهجية كتابة المقدمة وتسلسلها المنطقي، ومنهجية تبويب الكتاب وعنونة الأبواب. هذا أساسا لأن صاحب الخصائص لم يكتب خاتمة لبحثه هذا.

لكن هنا لا بد أن نذكر أن منهجية التأليف عرفت قديما من خلال المتون والشروح والتعليقات والحواشي، وإن كانت المنهجية الحديثة قد ضبطت عناصر البحث والتأليف في عناصر محددة، فإن القدماء قد فعلوا شيئا من ذلك فالسيوطي مثلا قد أفرد للموضوع كتابا عنوانه "التعريف بآداب التأليف"*، وضمنه صفات يلزم توافرها في المؤلف.

هذا عن السيوطي، فكيف كانت منهجية التأليف عند سابقه ابن جني؟ وما مدى استيفاء كتاب الخصائص لمقومات هذه المنهجية ؟ وكيف تعامل مع كل منها.

المبحث الأول: منهجية كتابة المقدمة في الخصائص:

يمكن تلخيص السمات المنهجية لمقدمة الكتاب في النقاط الآتية:

أولا: يبدأ مقدمته بالبسملة والحمدلة، ثم يتلو ذلك مفردات تدل على مذهبه الكلامي إذ يقول: الحمد لله الواحد العدل القديم، ثم يصلي ويسلم على الصفوة المنتخبين.

---

[1] – كتابة البحث العلمي، (صياغة جديدة)، د: عبد الوهاب إبراهيم سليمان، دار الشروق، جدة، ط/3 (1408هـ / 1987م)، 20.

* – حققه مرزوق علي إبراهيم ونشر من طرف دار الشهاب الجزائر.

ثانيا: يضمن ابن جني مقدمته توضيحا لسبب تأليفه الكتاب، وهو أن يقدمه هدية إلى الخليفة المنصور [المؤيد] يقول في ذلك: << هذا ــ أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور [المؤيد] بهاء الدولة وضياء الملة، وغياث الأمة، وأدام ملكه ونصره، وسلطانه ومجده، وتأييده وسموه، وكبت شانئه وعدوه، ــ كتاب لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت ملاحظا له، عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي والروية إليه، وَادًّا أن أجد موصلا أصله به، أو خللا أرتقه بعمله، والوقت يزداد بنواديه ضيقا ولا ينهج لي إلى الابتداء طريقا، وهذا إعظامي له، وإعصامي بالأسباب المنتاطة به، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب>>[1].

ففي هذه الفقرة يبين ابن جني أنه أمعن الفكر في كتابه هذا مع مرور الزمن، وأنه أخذ منه الوقت الكثير ــ وهذا ما يقتضيه البحث العلمي ــ إذ يوضح بعد ذلك أنه أراد به تصحيح ما أصاب الدرس من خلل .

ثالثا: يوضح ابن جني منهجه على شاكلة المقدمات الأكاديمية، إذ يقول عن الكتاب: << واعتقادي أنه من أشرف ما صنف في علم العرب وأذهب في طريق القياس والنظر، وذلك أننا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه >>[2] والمقصود بالقياس والنظر أنه لم يتخذ من السماع أصلا لوحده، بل ذهب كذلك للقياس والإجماع والاستحسان على شاكلة الأصول الأربعة للفقه.

رابعا: وقريب من مقدمات البحث العلمي الحديث، لا يغفل ابن جني ذكر الأبحاث السابقة له في مجال تأليفه، مع أنه يظهر ما أغفل من قبل سابقيه وما حاول استدراكه عنهم، يقول: << فأما كتاب أصول أبي بكر*، فلم يلم فيه بما نحن عليه، غلا حرفا أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به وسنقول في معناه، على أن أبا

---

[1] ــ الخصائص، 5/1 .

[2] ــ المصدر نفسه، 17/1 .

* ــ أبو بكر بن السراج، صاحب كتاب الأصول.

الحسن قد صنف في شيء من المقاييس كتيبا، إذا أنت قارنته بكتابنا هـذا علمـت بذلك أننا نبنا عنه وكفيناه كلفة التعب به >> [1].

من هذا القول يتعرف الباحث أن ابن جني كان صاحب اطلاع على مؤلفات سابقيه، ومدركا لنقائصها، وهذا مما يجعل العالم الباحث يتخذ من التأليف واجبـا، به يوضح ما استغلق، ويصنف ما اختلط على غيره.

والمتأمل فيما حوته المقدمة في الخصائص من تلـك العناصـر كعناصـر مستخرجة يجدها قد استوفت ــ إلى درجة ــ عناصر المقدمة الأكاديمية، وأهمها: الموضوع، وسبب التأليف والمـنهج وذكـر الدراسـات الـسابقة لـه ، ونقـدها بموضوعية، ثم قال بوجوب هذا العمل عليه، وهو العالم الذي يؤمن أشد الإيمان برسالة العلم وضرورة صيانتها والنهوض بتبعاتها.

وللتأكد من أن الكتاب استوفى ما جاء في مقدمته، تأتي دراسة تالية لدراسة مقدمته.

المبحث الثاني: منهجية التبويب في الخصائص:

يستلزم الحديث عن تبويب الكتاب وما تضمنه من موضـوعات ومنهجيـة صاحبه في عنونة الأبواب، تعريفا موجزا بالطبعة المعتمدة في البحث:

إنها الطبعة الصادرة بتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، من منـشورات محمد علي بيضون، وقد صدرت عن دار الكتب العلمية، بيروت، فـي جـزئين، وثالث: خصصه المحقق للفهارس تيسيرا منه للبحث في الكتـاب، وكـان تـاريخ صدور هذه الطبعة سنة: 1424هـ/2003م.

أما تبويب الكتاب : فأول ما يلفت انتباهنـا عنـد الحـديث عـن أبـواب الخصائص هو كثرتها المترتبة على شدة التجزئة والتفصيل، فقد جعل ابن جنـي كتابه في اثنين وستين ومائة باب.

---

[1] – الخصائص، 56/1 ، 57 .

لهذا العدد الهائل من الأبواب تخال ابن جني لم يترك شاردة ولا واردة من قضايا اللغة العربية إلا وتحدث فيها، وفي كامل المستويات اللغوية. ولكن السؤال المطروح هو: كيف جاء هذا التبويب؟ وإلى أي مدى تطابقت عناوين الباب ومضامينها؟

الحديث عن تبويب الخصائص يقودنا للحديث عن عدد الأبواب التي تضمنها كل مجلد في الطبعة المعتمدة.

نجد في المجلد الأول ثمانية وثمانين بابا. بدءا بباب "القول على الفصل بين الكلام والقول" ووصولا إلى باب وسم بـ : "باب في خلع الأدلة".

أما المجلد الثاني: فضم أربعة وثمانين بابا، أولها: "باب في تعليق الأعلام على المعاني دون الأعيان"، وآخرها: " باب في المستحيل وصحة قياس الفرع على فساد الأصول".

ولما كان المحقق حريصا على تيسير عملية البحث في هذا الكتاب وضع له مجموعة من الفهارس بلغت مجلدا كاملا وجاءت منظمة على النسق الآتي[1]:

1ـ الفهرس الأول: الأصول اللغوية في كتاب الخصائص.

2ـ الفهرس الثاني: مسائل العربية في اللغة والنحو والصرف.

3ـ الفهرس الثالث: مسائل علم العروض والقافية.

4ـ الفهرس الرابع: مسائل علوم البلاغة والنقد والأدب.

5ـ الفهرس الخامس: لغات العرب.

6ـ الفهرس السادس: أعلام العلماء.

7ـ الفهرس السابع: الآيات القرآنية.

8ـ الفهرس الثامن: الأحاديث الشريفة.

9ـ الفهرس التاسع: الأقوال المأثورة.

10ـ الفهرس العاشر: روايات عن العرب.

---

(1) ـ الخصائص، 357/3 ، 358 ، 359 ، 360 ، 361 ، 362 ، 363 ، 364 ، 365 .

11ـ الفهرس الحادي عشر: الشعر.

12ـ الفهرس الثاني عشر: أسماء الكتب.

13ـ الفهرس الثالث عشر: موضوعات الخصائص.

المبحث الثالث: منهجية عنونة الأبواب:

إذا كان العنوان هو مفتاح الباب، فإن مما يسعى هذا البحث لأن يدرسه مدى تطابق عناوين أبواب كتاب "الخصائص" ومحتواها، ولأن المثال لا يعني الحصر، وقد يكفي اختيار بعض الأبواب لإيضاح هذه المسألة.

1ـ باب شجاعة العربية: بداية يعرف بالمصطلح " شجاعة العربية " بأنه: << الحذف، والزيادة والتقديم، والتأخير، والتحريف >>[1].

ولا يبخل ابن جني عن المطلع بالأمثلة لكل نوع، فيمثل لحذف الجملة << فعل وفاعل >> تقول العرب: << والله لا فعلت، وتالله لقد فعلت >>[2]، فالعربي هنا حذف جملة << أقسم بالله >>[3].

ومن الشجاعة أن تحذف كلمة << فعل مثلا >> وذلك نحو قولك: << أزيد قام >>، فزيد ــ على حسب ابن جني ــ فاعل مرفوع بفعل مضمر ــ محذوف ــ خال من الفاعل[4]، ومكمن الشجاعة هنا أن المتحدث حذف عنصرا مهما في القانون اللغوي "المعياري" فبحذف هذا العنصر يكون متمردا على النظام اللغوي، وهذا ما وصفه ابن جني بالشجاعة، وليست الشجاعة من صفات الحذف فقط، وإنما وصف بها التقديم والتأخير وغيرهما من الظواهر اللغوية الخارجة عن المعيار الرئيس للغة العربية. وهنا أقول إن عنوان هذا الباب كان متخيرا بدقة، فحمل معاني فعل المتحدث أو المتكلم، وتمرده على النظام اللغوي، ووصفه بالفعل الشجاع.

---

(1) ـ الخصائص، 140/2.
(2) ـ المصدر نفسه، 140/2 .
(3) ـ المصدر نفسه، 140/2.
(4) ـ المصدر نفسه، 156/2.

2 ــ هذا باب التام يزاد عليه فيعود ناقصا[1]: الذي يعترف فيه ابن جني بأن ظاهره متناقض وباطنه واضح، فالجملة التامة إذا أضيف إليها عنصر حولها إلى ناقصة، فليس بعد التمام إلا النقصان. وقد مثل لذلك بالجملة << قام زيد>>[2]، وهي كلام تام، حيث استوفى الفعل اللازم فاعله واكتفى به، أما إذا أضفت ــ كما يقول ــ حرف " إنْ " فقلت: " إن قام زيد "[3]، فالجملة بالزيادة تتحول إلى النقصان. فهي هنا غير تامة إذ تحول معناها من الإخبار إلى الشرط، والشرط في هذه الحال يفتقر إلى جوابه " ليتم معناه "، لتوضيح ذلك نقوم بالمخطط التالي:

جملة تامة

فعل لازم + فاعل

إن + الجملة = كلام ناقص يحتاج إلى متمم

ومثال ذلك أيضا في الكلمة الواحدة " حضر زيد " ، " أحضر زيد "

جملة تامة

فعل لازم مجرد + فاعل

فعل + حرف زيادة + فاعل = يتعدى الفعل فيحتاج إلى مفعول.

3ــ باب الفصل بين الكلام والقول[4]: وفيه يتناول ابن جني بالبحث والدراسة تقاليب مادة (ق و ل) إذ يرى أن معانيها تدور حول الحركة وهذا ضمن قانون "الاشتقاق الأكبر" الذي كان له مبتكرا.

وفي حديثه عن الكلام يحصره في الجملة، وهنا نجده قد أوجد حدا فاصلا بين المصطلحين.

---

(1) ــ الخصائص، 26/2 .
(2) ــ المصدر نفسه، 26/2 .
(3) ــ المصدر نفسه، 26/2 .
(4) ــ المصدر نفسه، 58/1 .

4ــ باب القول على اللغة ما هي: وفيه يعرف اللغة بأنها: << أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم >>[1].

5ــ باب القول على النحو: وفيه يعرف حد النحو بأنه: << انتحاء سمت كلام العرب ... >>[2].

6ــ باب القول على الإعراب: ويظل دائما في الحدود معرفا حد الإعراب بأنه: << الإبانة عن المعاني بالألفاظ ... >>[3].

7ــ باب القول على البناء: ويعرفه بقوله: << هو لزوم آخر الكلمة ضربا واحد من السكون والحركة...>>[4].

8ــ باب في الاستحسان: ويعرفه ابن جني بأنه: << الاعتماد عند ترجيح حكم على حكم على الاتساع والتصرف ... ولهذا يصبح من الأدلة الضعيفة >>[5].

9ــ باب القول على أصل اللغة أإلهم هي أم اصطلاح: يدل عنوان الباب على أن في الأمر اختلاف ظاهر، إذ يرى ابن جني << أن أكثر أهل الرأي على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف >>[6].

إلا أنه لا يغفل الرأي القائل بأن (بعض أصول اللغة من الأصوات المسموعات ...)[7].

10ــ باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية[8]: يحمل عنوان الباب موضوع المقارنة بين العلل الثلاث << اللغوية، والكلامية، والفقهية >>، ويبين فيه أن العلل النحوية أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء.

---

(1) – الخصائص، 87/1 .
(2) – المصدر نفسه، 88/1 .
(3) – المصدر نفسه، 89/1 .
(4) – المصدر نفسه، 91/1 .
(5) – المصدر نفسه، 169/1.
(6) – المصدر نفسه، 94/1 .
(7) – المصدر نفسه، 94/1 .
(8) – المصدر نفسه، 360/1 .

11ــ باب في مقاييس العربية[1]: يقصد بها قواعد اللغة؛ وفي هذا الباب يذكر الأسباب المانعة للصرف معنوية كانت أو لفظية.

12ــ باب في جواز القياس على ما يقل، ورفضه فيما هو أكثر منه[2]: ويمثل لذلك بإجراء "فعولة" مجرى "فعيلة" في النسب، واجتماع الواو والياء ردفين وامتناع ذلك في الألف والقياس على "نشوءة" وحدها، فهنا جاز القياس على "نشوءة" وهي قليلة في كلام العرب ولم يجز على غيرها، وإن كان مطردا في السماع كثيرا في الاستعمال.

13ــ باب تخصيص العلل[3]: ويتناول فيه ابن جني علل النحويين دون علل المتكلمين، وما هو لاحق بها، ويخصص العلل فيصنفها إلى علل مجوّزة؛ وهي أسباب مجوزة، وعلل موجبة؛ وهي التي تستحق أن تنعت بالسبب. لأنها هي السبب في وقوع المسبب له.

14ــ باب الفرق بين البدل والعوض[4]: يظهر من عنوان الباب أن مضمونه سيكون لتوضيح الحدود الفاصلة بينهما، وهذا ما توضحه مقولته التي جاء فيها: << البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض منه، وإنما يقع البدل في موضع المبدل منه، والعوض لا يلزم فيه ذلك >>[5].

15ــ باب الاشتقاق: وهو على ضربين صغير وكبير[6].

يعرف في هذا الباب بالاشتقاق الصغير، وهو المعروف في العربية والمستعمل كثيرا، يقول فيه: << كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقرّاه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه >>[7].

---

(1) – الخصائص، 149/1 .
(2) – المصدر نفسه، 159./1 .
(3) – المصدر نفسه، 178./1 .
(4) – المصدر نفسه، 459/2 .
(5) – المصدر نفسه، 459/2 .
(6) – المصدر نفسه، 490./1 .
(7) – المصدر نفسه، 68./1 ــ 72، 490/1 .

أما الاشتقاق الأكبر: فهو يكمن في الاعتقاد، فتعقد عليه وعلى تقاليبه معنى واحدا[1]، وابن جني في هذا كان مبتكرا.

16ـ باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية[2]: يبدو من عنوان الباب أنه سيعرض لثلاثة أنواع من الدلالة، وهذا ما تضمنه فعلا، إذ جعل الدلالة اللفظية مثل "قام" دالة على مصدرها في لفظها، أما الدلالة الصناعية فهي صورة للفظ، أي الصيغة، بينما المعنوية فتتمثل في معنى الفعلية، وهي تتمثل في فاعله.

ويُصنِّف ابن جني هذه الدلالات بحسب قوتها وضعفها.

فالدلالة اللفظية ـ عنده ـ أقوى من الصناعية، أما المعنوية فهي أضعفهن، وهذا راجع ـ حسب رأيي ـ إلى أنَّ الدلالة اللفظية تتمثل في الحروف " الصوامت "، أما الدلالة الصناعية فتمثلها الصيغة، أي " الصوائت "، أما الدلالة المعنوية فتتولد من خلال الإدراك، أي معرفة معنى هذه اللفظة، فكلمة " قام " ـــ مثلا ـ فعل لفاعل قام بعملية القيام، فكانت الدلالات عنده على التدرج الآتي:

الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة الصناعية أقوى من الدلالة المعنوية.

17ـ باب في بقاء الحكم مع زوال العلة[3]: يبدأ فيه بتوضيح عنوان الباب بقوله: << هذا موضع ربما أوهم فساد العلة وهو مع التأمل بضد ذلك ... >>[4].

وما الكلام السابق إلا محاولة لإبراز صحة العنونة، ويضيف توضحا آخر للعنوان فيقول معناه: << ألا ترى أن فاء "ميثاق" ـ التي هي واو وثقت ـ انقلبت للكسرة قبل ياء، كما انقلبت في "ميزان" و"ميعاد"؛ فكان يجب على هذا لما زالت

(1) ـ الخصائص، 490/1 .
(2) ـ المصدر نفسه، 328/2 .
(3) ـ المصدر نفسه، 380/2 .
(4) ـ المصدر نفسه، 380/2 .

الكسرة في التكسير أن تعاود الواو، كتركهم الياء بحالها ربما أوهم أن انقلاب هذه لها لوجب زواله هو زوالها >>[1].

فابن جني من خلال كلامه يؤكد مطابقة عنوان الباب لمضمونه، فهو يحاول إيجاد المسوغ الفعلي لصيغة العنوان. وغالبا ما كانت العناوين في كتابه الخصائص حاملة لمضامينها، وإن كان الوقوف على هذا يحتاج لبعض النظر والتأمل.

خلاصة:

لقد أصل ابن جني المعرفة المنهجية باعتباره صاحب تفكير منهجي، جعله يجمع جميع جوانب اللغة وفق منهجية رصينة.

إن حتمية الارتباط الوثيقة بين التفكير العلمي، ومنهجية ابن جني في تأليفه الخصائص تستمد فاعليتها من حيث أنه ابتعد عن الأهواء. فذكر أسبقية غيره له في هذا المجال، ووضح إضافاته، وضبط منهجيته.

واستنادا إلى ما جاء به صاحب الخصائص في أبواب الكتاب وعنونتها يمكن القول أنه اهتدى إلى منهجية عقلانية اعتمد فيها رجاحة التفكير، فكان عند عنونة الباب يفسر ما أشكل، ويظهر ما خفي. فهو عند الخلوص من ذكر الباب لا ينساق معه مباشرة في أمثلته، وشرح مفاصله، إنما يتريث بأن يوضح المقصود منه، ويبين قلة وروده أو كثرته في كلام العرب.

فكان ابن جني ــ من خلال ما سبق ذكره ــ آصل في التنظيم، والترتيب والتصنيف.

---

[1] ــ الخصائص، 380/2 .

الفصل الثاني: منهج ابن جني في الخصائص (تقنيات المنهج)

المبحث الأول: الاستقراء.

المبحث الثاني: التحليل.

المبحث الثالث: التعليل.

الفصل الثاني: منهج ابن جني في الخصائص (تقنيات المنهج).

إذا كان الفصل السابق قد تضمن دراسة التفكير العلمي في شقه النظري فإن هذا الفصل يتمحور حول البنية الإجرائية له، وهنا تظهر الركائز الأساسية لمنهج ابن جني في خصائصه من هذه الزاوية.

وسبب تخصيص فصل للمنهج مردُّه إلى أنَّ التنظيم << هو اتباع منهج 'Method"؛ أي طريق محدد يعتمد على خطة واعية >>[1].

وفي الموضوع نفسه يقول أحد البحثة: << التفكير العلمي لا ينهض على مستوى البحث إلا بوجود اثنين معا؛ مشكلة تستأهل البحث، وباحث يبحث وفق منهج من مناهج التفكير العلمي >>[2]، ويضيف قائلا: << التفكير العلمي هرمي البنية؛ قاعدتها تقنيات الاستقراء، وواسطتها أساليب التحليل، وذروتها التفسير >>[3].

فمما سبق ذكره يمكن القول أن التفكير العلمي لا تقوم له قائمة إلا بمنهج أو طريق يسلكه الباحث للوصول إلى المعرفة العلمية، وهذا العمل له مراحل ثلاث؛ أولاهن استقراء والثانية هي التحليل، والثالثة هي التعليل.

وللوقوف على تقنيات هذا المنهج، ومدى توافرها في كتاب الخصائص كان هذا الفصل الذي يتتبع هذه التقنيات مرحليا بحسب الترتيب السابق.

المبحث الأول: الاستقراء:

1/ مفهوم الاستقراء:

---

(1) – منهج البحث اللغوي، د: محمود سليمان ياقوت، 98.
(2) – التفكير العلمي في النحو العربي، د: حسين خميس الملخ، 19.
(3) – المرجع نفسه، 20.

أما لفظ الاستقراء لغة: فهو من مادة (ق ر ي) ومادة (ق ر و) اللتان وضعتا للدلالة على التتبع والنظر والتلمس، إذ يقال << قرَوت الأرض وتقريتها واستقريتها تتبعتها >>[1].

وأما المفهوم الاصطلاحي لمفردة الاستقراء لا بد من الاطلاع على تصور أرسطو له << إذ جاء عنده مقسما إلى ثلاثة تصورات، المستوى الأول تمثل في الاستقراء التام، ونعته بـ "التحليلات"، والثاني سماه "الاستقراء الحدسي"، والثالث سماه "الاستقراء العلمي" >>[2].

وإن كان الاستقراء التام عند أرسطو هو تتبع كامل جزئيات العينة لنطلق الحكم عليها، فالاستقراء الحدسي نجده أعطاه مفهوم العلم البرهاني، ويتمثل في الوصول إلى النتائج المجهولة عن طريق المقدمات المعلومة، فأرسطو جاء بهذا التصور ليؤكد حقيقة منهجية وهي: أن معرفة النتائج تحصل بالاستقراء. فبه يتحول من المقدمات إلى النتائج. أما التصور الثالث فهو الاستقراء الناقص أو العلمي، وهو المقصود في هذه الدراسة.

هذا هو تصور أرسطو للاستقراء. أما مفهومه عند العرب، فنجد الفارابي يعرفه بقوله: << هو ما لم يحصل عنه اليقين الضروري الكلي >>[3]، من خلال هذا التعريف ندرك أن الفارابي نظر إلى الاستقراء بنظرة محدودة، فهو يرى في نتائجه مثار شك وتردد بخلاف اليقين والجزم..

فإن كان الفارابي أعطى للاستقراء مفهوما محدودا فإن السيوطي أورد تعريفا له بقوله: << الاستقراء هو حكم على كلي بوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي، ـ إما كلها ـ وهو الاستقراء التام، ـ وإما أكثرها ـ وهو الاستقراء المشهور، فكأنه يحكم بالأكبر على الواسطة لوجود الأكبر في الأصغر >>[4].

---

(1) ـ أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط/1 (1426هـ / 1996م)، 505 .

(2) ـ الاستقراء العلمي في الدراسات الغربية والعربية، د: مهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، (د ط) (د ت)، 19 .

(3) ـ المرجع نفسه، 39 ، 40.

(4) ـ الأشباه والنظائر، السيوطي، تح: محمد عبد القادر الفاضلي.، دار المكتبة العصرية، بيروت، ط/1 (1420هـ / 1999م) 350 .

يتلخص مصطلح الاستقراء في الحكمة القائلة: (الحاجة أم الاختراع)، والاستقراء يستعمل عند العجز عن مباحثة كل عناصر الظاهرة المراد دراستها، واللغة من السعة بالمكان الذي يعجز معه الباحث عن الوقوف على كل جزئياتها، ومن هنا جاءت فكرة استخدام العينة في الدراسات اللغوية.

ولعل الاستقراء اللغوي عند العرب تمثل في تلك المحاولات التي قام بها جماع اللغة؛ حين أرادوا استقراء العربية من أفواه الأعراب، وهذا لغرض تدوين ألفاظها ومعانيها وجمع قواعدها، يقول في ذلك أحد البحثة: << الاستقراء هو استخلاص المبادئ العامة، التي تنظم الظواهر اللغوية، وعن طريقه يكتسب الباحث اللغوي المعرفة التامة بأسرار اللغة، ويشترط في الاستقراء اللغوي في المنهج الوصفي عددا هائلا من البيانات التي يتناولها، وقد تكون هذه البيانات أصواتا عند دراسة الأصوات، أو حروفا أو مقاطع أو ظواهر موقعية عند دراسة التشكيل الصوتي ، أو صيغا عند دراسة الصرف ، أو أبوابا عند دراسة النحو>> [1].

زيادة عن هذا التحديد للاستقراء اللغوي يضيف صاحب كتاب المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: << لكي تكون الأصول المستقراة من اللغة متصفة بالواقعية، وجب أن يكون العمل الاستقرائي لصيقا بالواقع الاستعمالي للغة >> [2].

فالعمل الاستقرائي ليس كالفرضيات التي تطلق دون سابق تأكيد لها، وإنما هو نابع من الواقع الفعلي والتعاملي للغة، والاستقراء عرف منهجا وصفيا عند أسلافنا الأوائل، اعتمد للتوصل إلى حقائق لغوية تدل على تلك المعرفة العلمية التي مكنتهم من تتبع كلام العرب، هذا مع احترام الواقع والمنطق اللغويين.

يقول الدكتور نوزاد حسن أحمد في هذا: << إن العملية الاستقرائية عند العرب تثبت بشكل قاطع أن البحث اللغوي عند العرب اتخذ مجراه الطبيعي في

---

(1) – اللغة بين المعيارية والوصفية ، د: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ، (د ط) (1400هـ/1980م)، 166.

(2) – المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د: نوزاد حسن أحمد، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط/I (1996 م) ، 55 .

التعامل مع الظواهر وهو يتفق تماما مع منهج العلوم التي تستند إلى الاستقراء العلمي >>[1].

وكتاب الخصائص واحد من المصنفات التي تدل على استفادة أسلافنا من المنهج الاستقرائي (تقنية الاستقراء)، واتخاذه وسيلة للوصول إلى المعرفة، إذ يمكن أن نتلمس هذه المعرفة المنهجية في الكتاب في كامل أجزائه، وفيما يلي عرض لتلك المواضع التي توصل فيها بالاستقراء إلى معرفة لغوية.

أدرك ابن جني اعتمادا على الاستقراء أن كلام العرب نمطان لا ثالث لهما؛ هما: الإعراب والبناء، فأفرد لكل نوع منهما بابا خاصا، يقول في تعريفه للأول: << هو الإبانة عن المعاني >>[2]، فإبانة المعنى عنده في الجملة من مهام الإعراب، إذ هو الفيصل بين الفاعل والمفعول، وخاصة إذا تقدم ما حقه التأخير والعكس، فإن توفر الإعراب صار بإمكان المتكلم أن يقدم ويؤخر ما شاء. وهذا نص مقولته: << إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ، ألزم الكلام من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب، فإن كانت هناك أدلة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير، نحو: "أكل يحيى كمثرى" لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت >>[3]، وهو في موضع آخر يؤكد على هذه الظاهرة إذ نعتها بنقض المراتب إذا عرض هناك عارض. وبالتقنية ذاتها نجده نؤيد ما ذهب إلي البصريون في أخذ اللغة عن قبائل معينة << سعى البصريون لأخذ عن قبائل معينة ... >>[4]، وحديثه هذا يدور حول ضرورة الأخذ عن أهل الوبر وترك الأخذ عن أهل المدر، ويعلل لذلك بالعلة المعتادة، وهي "فساد الألسنة". فتقنية الاستقراء تبدو واضحة جلية في مرحلة جمع مفردات اللغة العربية، واستقراء معانيها وقواعدها، ولعل ما أوجده جماع اللغة من أطالس لغوية أكبر دلالة على ذلك في المجال.

---

(1) – المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د: نوزاد حسن احمد، 56.
(2) – الخصائص، 203/1.
(3) – المصدر نفسه، 203/1 .
(4) – المصدر نفسه، 393/1 .

وليس من الغريب أن نجد ابن جني قد أدرك ضرورة ربط المنهج الوصفي بالواقع اللغوي، وتكشف الأصول المستقراة من كلام العرب هذا كله ليطمئن إلى صحة مادته اللغوية، لهذا نجده موضوعيا حين يصف اللغة العربية، إذ يتنزه عن ذكر اسمه إذا اهتدى للشاهد فيعبر عن ذلك بعبارات تدل على بعده عن الذاتية من أمثال: << أعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له ... >>[1]، << ... إذ فعلت العرب ذلك ... >>[2]، وهو بهذا ينسى أنه عالم العربية والحجة فيها، ولم يقصد بذلك إلا الربط بين اللغة والمتكلمين بها على منوال المنهج الوصفي الحديث.

وكثيرا ما يستعمل عبارات دالة على الاطراد في الظاهرة اللغوية، فاهتدى إلى تأطير عمله الاستقرائي هذا بمنهج يتصل بالواقع الموصوف؛ لأن << الاستقراء يقوم على الاطراد>>[3]. ففي مواضع كثيرة نجده يعبر عن الاطراد، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله: << المطرد في القياس والاستعمال...>> [4]، << المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس ... >>[5]، فهو بهذا يصف الكلام المستعمل حتى وإن شذ في القياس، وهذا عمل يدل على الوصفية، فابن جني بهذا يبتعد عن المعيارية، ويتخذ من الوصف منهجا له، سالكا تقنية الاستقراء، كما أنه توصل إلى وصف ما لم يحدث من كلام العرب، وهو ما وسمه بالشاذ في الاستعمال المطرد في القياس، وكان ابن جني لا يغادر الظاهرة إلا بالتمثيل والشرح، ولأن التصريح أقوى من التلميح فابن جني استعمل كلمة استقراء بمعناها المراد حال، وإن كان يقصد بها الاستقراء التام حينما تحدث عن الاشتقاق الأصغر فعره بقوله: << هو أن تأخذ أصلا من الأصول، فتتقراه فتجمع بين معانيه >>[6]، والاستقراء التام معناه أن الكلمات هنا معدودة.

---

(1) – الخصائص، 100/2.
(2) المصدر نفسه، 142/2.
(3) – الاستقراء والمنهج العلمي، 77.
(4) – المصدر السابق، 138/1.
(5) – المصدر نفسه، 163/1 .
(6) – المصدر نفسه، 491/1 .

والاستقراء كان طريقة يتوصل بها ابن جني إلى معرفة القوانين العامة لكلام العرب، إذ إنه لا يدرس إلا العينة، ثم يعمم الحكم المتوصل إليه على كل الحالات.

المبحث الثاني: التحليل:

التحليل لغة، هو: << رد الشيء إلى عناصره المكونة له مادية أو معنوية، ويستعمل اللفظ أصلا في الكيمياء والعلوم الطبيعية والرياضيات، كما يستعمل في العمليات الذهنية >>[1].

والتحليل في الفلسفة: << هو منهج عام يراد به تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشيء إلى عناصره المكونة له >>[2].

والتحليل اللغوي مرحلة وسطية بين الاستقراء والتعليل، إلا أننا نجده أحيانا يتداخل مع الاستقراء " مرحليا " فحسب الدكتور حسن خميس الملخ يرجع ذلك إلى << أن مرحلة الاستقراء امتدت إلى القرن الرابع عند بعض النحاة. مع أن التأليف اللغوي الذي تظهر فيه ثمار الاستقراء والتحليل والتعليل ظهر في القرن الثاني الهجري >>[3].

فالتحليل إذن إن كان موضعه النظري والأصلي أنه بين مرحلتي الاستقراء والتعليل، إلا أنه تطبيقا نجده يتداخل ومرحلة الاستقراء عند بعض النحاة ــ عند ابن جني مثلا ــ، ومهما يكن فإننا عندما نتحدث عنه في بحث علمي لا بد أن نبقي على مكانه الأصلي وندرس إضافاته للعمل اللغوي في مرحلته الإجرائية.

هذه التقنية ينتظمها شكل رياضي، يصفه الباحث السابق الذكر بأنه: << تنظيم رياضي لمعطيات الاستقراء بفرز هذه المعطيات فرزا هرميا من العام إلى الخاص >>[4].

---

(1) – المعجم الأدبي ، د: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، لبنان، ط/2 (1984م) 60– 61 .

(2) – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل مهندس، مكتبة لبنان ط/3 (1984) ، 89 ، 90 .

(3) – ينظر: التفكير العلمي، د: حسين خميس الملخ، 107.

(4) – ينظر : الخصائص، 107 .

والمحلل اللغوي يتحول من المستوى اللغوي الأعلى إلى الأدنى، وهذا حسب الباحث اللساني، لأن المنهج النظري المناسب لتحليل تراكيب اللغة العربية يختلف من باحث لآخر، ومستوى لغوي لآخر. فهذا الألسني يحلل التركيب الجملي إلى كلمات، وغيره يحلل الكلمة إلى الأصوات المكونة لها، وهذا قصد تحديد قواعد عامة كلية تجمع بين عناصر متباينة تجمعها صفات مشتركة.

ويعد << التحليل ميزة يتميز بها العالم عن الرجل العادي، وهو ما يجعله يصل إلى بسائط الأمور >>[1].

ويرى الدكتور الملخ أن قاعدة أقسام الكلام أهم قاعدة تحليلية في النحو العربي بقوله: << تعد القسمة الثلاثية المعروفة للكلمة في العربية الاسم، والفعل، والحرف، أهم قاعدة تحليلية في النحو العربي >>[2].

فالمادة اللغوية المستقراة تكون ضخمة لا يمكن لأي قاعد أن تستوعبها دفعة واحدة، بل إن التحليل والتصنيف هما السبيل إلى ضبط القواعد اللغوية.

وللتوضيح أكثر أطبق على القاعدة السابقة الذكر ــ على سبيل التمثيل لا الحصر ــ فإذا أردنا إيجاد قاعدة تحكم الأفعال لا بد من إيضاح الصفات المشتركة بينها حتى نصنف الكلمة بأنها فعل.

ــ أ ــ جاء: كلمة دالة، ليست اسما، متعلقة بزمن، تدل على فعل المجيء.

ــ ب ــ بحث: كلمة دالة، ليست اسما، متعلقة بزمن، تدل على فعل البحث.

ــ ج ــ كتب: كلمة دالة، ليست اسما، متعلقة بزمن، تدل على فعل الكتابة.

فالكلمات الثلاث بتحليل دلالاتها نجدها تتصف بصفات مشتركة نطلق عليها صفة الفعل.

إن كان الدكتور الملخ يرى أن قاعدة تقسيم الكلام هي أهم قاعدة نحوية في اللغة العربية، فإنه يمكن إضافة قاعدة أخرى هي " السبر والتقسيم"* في العلل

---

(1) – منهج البحث اللغوي، د: محمود سليمان ياقوت، 101 .

(2) – ينظر : التفكير العلمي، د: حسن خميس الملخ، 108 .

* – تذكر الوجوه المحتملة للعلة بعد الاختبار يتم تغيير ما صح منها وينفى ما عداه

النحوية. والتقسيم خصوصا تتفق إجرائيته والتحليل، وهو ما سيأتي ذكره عند ذكر التحليل عند ابن جني.

وقد يأتي التحليل حاملا لمعنى التفكيك، أي رد الشيء إلى عناصره المكونة له، مثل إرجاع الكلمة المرادة إلى أصلها [جذر لغوي] وهذا بإزالة الزوائد [سابقة، فاصلة، لاحقة]. وهذا ما تمثله المعادلة التالية.

[جذر + لاصقة = ناتج]

والتحليل من الخطوات الإجرائية الأولى لمعالجة النظرية اللغوية، ولهذا نجد الدراسات اللغوية الحديثة كلها قائمة على تحليل البنى اللغوية من الجملة إلى← الكلمة إلى ←— الصوت.

التحليل عند ابن جني في الخصائص:

لأن مرحلة التحليل مرحلة وسطية في البحث اللغوي للوصول إلى قاعدة تحكم النظام، فإنه لا يمكن القول أن ابن جني استعمل التحليل في موضع دون آخر، بل إن التحليل شامل لكل مباحثه، وإنما للتوضيح والتمثيل اخترت بعض المواضع لاستظهار إجرائية التحليل في كتاب الخصائص.

إجرائية التحليل في كتاب الخصائص:

1ــ يقول ابن جني في السبر والتقسيم << مثاله: إذا سألت عن وزن مروان فتقول لا يخلو أن يكون فعلان أو مفعالا، ثم تفسد كونه مفعالا أو فعولا لأنهما مثلان لم يجيئا، فلم يبق إلا فعلان >>[1].

فهو في هذا الموضع يحلل أسباب العلة بأن يعيدها لعدة احتمالات ثم يسبرها (اختبارها) يجد التي تكون موجبة للحكم، فيصدق عليها أن تكون العلة.

2 ــ الاشتقاق الأصغر*:

يسمح الإمكان << جذر + صيغة >> بتكوين معجم خاص عن طريق << سكب جذر مثل " ق ط ف " الدالة على الحدث [قطف] في الصيغة "فعل"، لنحصل

---

[1] – الخصائص ، 304/2 .

* – يعرفه: بأن تاخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه .

على الوحدة المعجمية قطفَ الدالة بمادتها (حروفها) على معناهـــا. وبـــصيغتها على زمانها، (فعل ماض).

هذا عن الأصل المجرد من الزيادة ، وهناك الصيغ المزادة، أو الصيغ غير السالمة إذ أفرد ابن جني فصلا في الخصائص للإجابة عن حقيقة تحليل هذا النوع من الصيغ بعنوان: << باب في مراتب الأشياء وتنزيلها تقديرا أو حكما أو زمانـــا ووقتا >>[1]، وقد رفض ابن جني فيها أن تكون الصيغ غيـــر المجـــردة (غيـــر السالمة) التي زدت حروف العلة فيها إلى أصلها وفك إدغامها كانت فـــي وقـــت صيغا لغوية حقيقية، فهي صيغ معتلة أو مزيدة (غير سالمة)، وله تطبيقات أخرى في المستوى النحوي والصوتي، بأن يعيد الجملة إلى عناصرها المكونة (تحليـــل نحوي)، وأن يفكك الكلمة إلى أصوات (تحليل صوتي)، سيأتي بيانها في الفـــصل اللاحق.

المبحث الثالث: التعليل:

أباحث في هذا الجزئية ما اختص بنظريتي العامل والعلة، وهـــذا للعلاقـــة الوطيدة بين العلة والبحث عن السبب، فكما الإنسان يبحث عن أســـباب الظـــواهر الكونية، نجد العالم اللغوي يبحث عن العلل التي أحدثت تلك الظواهر اللغوية التي يتتبعها بالدرس. فمعرفة الأسباب كما يقول حسن ملحم: << تساعد على التحكم في الظواهر بصورة أفضل >>[2].

وقبل تخصيص هذه السمة ــ وهي البحث عن الأســـباب ــ فـــي كتـــاب الخصائص لا بد من الوقوف على مدلولها اللغوي والاصطلاحي.

1ــ العلة لغة: العلة في اللغة << اسم لعارض يتغير به وصف المحل بحلولـــه لا عن اختيار، ومنه سمي المرض علة ، لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القـــوة

---

[1] ــ الوسائط اللغويـــة، محمـــد الأوراغـــي (أفـــول اللـــسانيات الكليـــة)، دار الأمـــان، الربـــاط، ط/1 (1421هـــ/2001م) 280/1.

[2] ــ التفكير العلمي والمنهجية، د: حسن ملحم، 69 .

إلى الضعف >>[1]، هذا عن التعريف اللغوي، أما عن التعريف الاصطلاحي فهي:

2ـ العلة في الاصطلاح:

<< العلة هي السبب الموجب، والعلة ضربان عقلية وشرعية، فالعقلية الموجبة بذاتها غير سابقة لمعلولاتها كحركة المتحرك وسكون الساكن >>[2].

ولعل الخليل كان أول من رسم حدود التعليل في الدرس اللغوي العربي، إذ يقول في ذلك: (إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها)[3]، ويضيف في الموضع نفسه قائلا: << واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة أخرى فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظام والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، وجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته للمعلوم فليأت بها >>[4].

فالخليل من خلال حديثه عن العلة يوضح لنا ظاهرة تكلم العرب الأوائل العربية على السليقة، حتى أنهم أدركوا مواقع الكلم، وقر ذلك في عقولهم فصارت العلة هي ذاتها القول، ثم يذكر لنا تعليله للظواهر اللغوية حتى أن المعلل حين يقف أمام ذلك النسق اللغوي أو النظام فإنه يعمد إلى تعليلها سواء قصد التعليم أو التأكيد، فإنه يكون صاحب منهج وصفي، إذ لا بد له أن يدرك طبيعة النظام حتى

---

(1) ـ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، 94/2 .

(2) ـ موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي، د: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط/2 (1998م) 793.

(3) ـ ينظر: علل النحو لابن الوراق، تح: محمود محمد محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط/1 (1422هـ / 2002م)، 136 .

(4) ـ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط/1 (1400هـ/ 1980م)، 372 .

يعلل كيفية حدوثه، ثم يحتمل أمرين؛ أولهما: أن يصيب المعلل العلة، وثانيهما: أنه قد يخفق بأن يذكر علة لم تكن مقصودة لدى متحدث اللغة أصلا.

والملاحظ عن تعليل الخليل أنه لم يخرج عن المنهج اللغوي السليم. ومن جملة ما قيل في منهجه التعليلي ما نجده في الكتاب: << من أنه استطاع أن يستنبط ما لم يستنبطه أحد وما لم يسبق إليه >>[1]. فالخليل وإن رأى سيبويه في علله أنه لم يسبق إليها، وبها قد وصل إلى ما لم يسبق إليه، إلا أنه ظل محافظا على نقاوة الدرس اللغوي ولم يلبسه بعلل أجنبية عنه.

من فترة الخليل (طبقته) إلى غاية أواسط القرن الثالث الهجري لم تطل الفلسفة الدرس اللغوي، ولم يلبث اللغويون العرب مع بداية القرن الثالث الهجري أن اعتنوا بالفلسفة، فصار التعليل مما يُفاضَل فيه، إذ << يروي أبو الطيب اللغوي [ت 351هـ] عن أبي حاتم السجستاني [ت 255هـ] أنه ينعت الكسائي [ت 189هـ] بالضعف بالعلم، لأن علمه مختلط بلا حجج ولا علل >>[2].

هذه المفاضلة جعلت من اللغويين يعتنون بأمر التعليل عنايتهم بالغاية لا العلة، ومن الملاحظ عن القرنين الثاني والثالث الهجريين أنهما كانا يمثلان النشوء الطبيعي للتعليل، وإن كان في مرحلته الجنينية، إلا أنه أخذ به منهجا في البحث اللغوي، ثم ما لبث أن تحول إلى مركز يتمحور حوله الدرس اللغوي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري.

وجاء القرن الرابع، فترجمت معارف اليونان من الفلسفة والمنطق، إذ صارا يمثلان إطارا يحتوي كل العلوم والدراسات، ودراسات اللغة من تلك العلوم كانت ضمن هذا الإطار، وأفضل ما يمثل المنهج التعليلي تلك المصنفات التي اتخذت من العلل موضوعا لها ــ كما سبق ذكره ــ ومما لا شك فيه أن هذا النمط

---

(1) ــ الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط/3 (1403هـ ــ /1993م) 310/1 ، 324 ، 389 .

(2) ــ طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي محمد بن الحسن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، ط/2 ، (1984م) 43 .

من التأليف مرده إلى الأوساط العلمية التي اتسمت بها هذه الفترة، فعالم هذه المرحلة كان موسوعيا لا يكاد يتخصص في علم واحد.

العلة النحوية مسألة لقيت اهتماما بالغا من طرف ابن جني في "خصائصه" وقد تنوعت مباحثته لها بين التنظير والتطبيق، وهي تطالعنا في تلك الأبواب التي عقدها لتصنيفها، والتعريف بها، والتفريق بينها وبين مثيلاتها من العلل الفقهية والكلامية.

وإن كان صاحب الفهارس المفصلة لخصائص ابن جني[1] قد فرق بينها بحد العموم والخصوص، فإن البحث سيضم تصنيفا آخر، والحد الفاصل بين طرفيه هو التنظير والتطبيق.

ـ 1ـ العلة نظريا:

تحدث ابن جني عن العلل بطريقة تؤكد أنه صاحب حس لغوي، وكذا معرفة بفلسفة اللغة، هذه المعرفة مكنته من أن يمتلك قدرة على التنظير، والمنظر للعلم ليس كالمطبق، فالمنظر لا بد له أن يحمل معرفة بفلسفة الموضوع وخباياه.

يرى ابن جني أن العلل النحوية أقرب إلى علل المتكلمة منها إلى علل الفقهاء إذ يقول: << أعلم أن علل النحويين ـ وأعني بذلك حذاقهم المتفننين لا ألفافهم المستضعفين ـ أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقهين ... >>[2]، وحديثه عن العلة لا يمنعه من التعليل لهذا الحكم الذي أصدره؛ فيقول: << ذلك لأنهم إنما يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفته على النفس >>[3]، فالعلة النحوية باعتمادها الحس تكون قريبة من علل المتكلمة، والفرق الكلامية لا تؤمن إلا بما هو محسوس*.

وقريب من هذا ما جاء به في تخصيص العلل والفرق بين العلة الموجبة والمجوزة. فالعلة النحوية الموجبة مثل النصب على الفضلة، أما المجوزة فمثل

---

(1) ـ الخصائص ، 100/1 .
(2) ـ المصدر نفسه، 100/1 ، 130 ، 179 .
(3) ـ المصدر نفسه، 100/1 ، 104.
* من مبادئ المعتزلة.

تلك الأسباب الستة الداعية للإمالة. يقول في هذا: << اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها على الإيجاب بها، كنصب الفضلة وضرب آخر يسمى علة، وإنما هو الحقيقة وسبب يجوز ولا يوجب، من ذلك الأسباب الستة الداعية إلى الإمالة>>[1].

في مجال التنظير دائما يعرض ابن جني عنوانا آخر يتطرق فيه لتعارض العلل، والمراد منها تعدد العلل والعوامل في معمول واحد، ويمثل لذلك برفع المبتدأ، ويورد في ذلك رأيا لأصحاب المدرسة الكوفية " ترافع المبتدأ والخبر" ، وإن كان مؤلف الخصائص قد حرص على التصنيف، فإنه لا يبخل بالتمثيل والتوضيح.

من تصنيف العلل ينتقل ابن جني إلى شروط العلة ويتحدث في ذلك عن التعدية، ويذهب إلى أن العلة إذا لم تتعدد لم تصح. ومثال ذلك قوله: << من ذلك قوله في من اعتل لبناء نحو لم ومن وما وإذا ونحو ذلك، بأن هذه الأسماء لما كانت على حرفين شابهت بذلك ما جاء من الحروف على حرفين، نحو هل، وبل، وقد، قال: فلما شابهت الحرف من هذا الموضع، كما أن الحروف مبنية، وهذه علة غير متعدية ... فإن قيل: هذه الأسماء لها أصل في الثلاثي، وإنما حذف منها حرف، فهو لذلك متعد >>[2].

فالعلة لا يمكن أن تكون موجبة للحكم إلا إذا تعدت وهذا ما يعني شموليتها، إذ يمكن التعليل بها في كل ما يشبه الموقف المعلل بها فيه، والتعدية صفة علمية للمعرفة، وشمولية القاعدة اللغوية تجعل منها ثابتة غير مقتصرة على موقف محدد.

يعود ابن جني لسابقيه مستفيدا من معارفهم ليبني عليها معارف لاحقة، ومن هؤلاء الذين ذكرهم عند حديثه عن العلل ابن السراج، هذا الذي أوجد للعلة

---

(1) -الخصائص، 178/1.
(2) - المصدر نفسه، 169/1 .

علة أو" عللا ثواني " ، إذ يخالفه في هذا على أن << هذا ضرب من التجوز >> [1] في اللفظ، فأما الحقيقة فإنما كما يقول: << شرح وتفسير وتتميم للعلة>>[2].

فالعلة عند ابن جني سواء كانت صرفية أو نحوية هي الموجبة للحكم، ولشدة عنايته بهذه المسألة وإسهابه فيها يقول فيه شوقي ضيف: << ... أفاض في بيان العلل النحوية منكرا تقسيم ابن السراج وتلميذه الزجاجي لها إلى علل أولى وثوان وثوالث، ذاهبا إلى أن العلل الأخيرة تتميم للعلل الأولى وليس هناك علة العلة وعلة علة العلة >>[3].

هذا عن التنظير، وبما أن العلوم لا تقوم لها قائمة إلا بالتطبيق التام لنظرياتها، نجد ابن جني مدركا لهذه الحقيقة، وهو يطبق تعليلاته حينما يتحدث عن الظواهر اللغوية في كامل مستوياتها، فهو حين يتحدث عن رفع المبتدأ يعلل ذلك بالابتداء[4]، وعن إلحاق نون التوكيد باسم الفاعل يقول: << ذلك راجع لشبهها بالمضارع >>[5]، ويعلل الإعراب للمضارع بـ: << شبهه باسم الفاعل>>[6]، ويعلل لإحلال الضمير محل الظاهر بخوف الإلباس وطلب الخفة، << كما إذا قلت زيد ضربت زيدا، وأنت تريد ضربته >>[7].

ويعلل ابن جني مخالفة العَلَم لغيره بكثرة الاستعمال، وهو عنده << لما كثر استعماله أشد تغيرا >>[8]، ومهما يكن فإن إحصاء أمثلة تعليل ابن جني للظواهر اللغوية، غير ممكن، فهو مولع بالتعليل، إذ يقول فيه صاحب كتاب العلل النحوية،

---

(1) – علل النحو، لابن الوراق، 139 .
(2) – الخصائص، 77/1، 78 .
(3) – المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط/7، (د ت)، 67 .
(4) – المصدر السابق ، 149/1 .
(5) – المصدر نفسه، 171/1 .
(6) – المصدر نفسه، 110/1 .
(7) – المصدر نفسه، 536/1 .
(8) – المصدر نفسه، 275/2 .

(تاريخ وتطور): << كان ابن جني ذا عقلية تعليلية، فهو مولع بذكر العلل وتوجيهها، وكان مسرفا في ذلك >>[1].

نظرية العامل عند ابن جني في الخصائص:

سار ابن جني على نهج القائلين بالعامل، ولم يخالف سلفه من اللغويين، على أنه تفرد برأي خاص في هذا الباب؛ لأنه جرد العامل وجعله في المتكلم.

فنظرية العامل من النظريات التي لقيت اهتماما بالغا من طرف صاحب الخصائص ــ وإن كان خالف غيره على ما يبدو ــ وتوضيحا لهذا الرأي نجد عبده الراجحي يقول: << والواضح الجلي من هذا القول فهم العامل على أنه ظاهرة لغوية، وهذا ما يتفق والمذهب اللغوي الرصين، لأنه فهمه من ناحية التركيب، أو النظام اللغوي، فالكلمات عند انتظامها مع بعضها تتشكل بينها علاقات نحوية والجمل كذلك، والأصوات لما تأتلف في الكلمة الواحدة ... توفر لها ذلك التأثير والتأثر، وليست المقولة إلا أمارة على أنه أراد منها نظرية العامل التي كانت بين مؤيد ومعارض >>[2].

ولعل رأي عبده الراجحي أقرب إلى الصحة. وهو أن ابن جني يقر بأن الكلمات أو الألفاظ تقيم علاقات فيما بينها عند مضامتها بعضها لبعض، وهذا ما يفسر تلك التغيرات التي تطرأ عليها في مجال النظام اللغوي، والمتكلم ليس هو سوى ممثل للنظام اللغوي الذي يطبق به، فابن جني في باطن قوله لم يخالف النحاة في تقسيم العوامل إلى لفظية ومعنوية، يقول في ذلك: << إنما قال النحويون عامل لفظي، وعامل معنوي ... وعليه صفحة القول >>[3].

إن كان ابن جني قال بأن العامل هو المتكلم حسب ما ورد في الخصائص (... فأما الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما

---

(1) ــ العلل النحوية، تاريخ وتطور (حتى نهاية القرن السادس الهجري)، د: محمود جاسم الدرويس، الجامعة المستنصرية، تسلسل التفكير (151) ، (2002م)، 87 .

(2) ــ فقه اللغة في الكتب العربية، د: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ط) ، (د ت ط)، 158 .

(3) ــ الخصائص، 199/1 .

هو المتكلم)[1]، فهو من ناحية تطبيقه لهذا الرأي لم يطبقه، إذ نجده مخالفا له ولم يوله اهتماما. << لم يكن نقطة رئيسية في تفكيره اللغوي...ولو كان المتكلم عاملا بديلا لحظي في مصنفات ابن اجني بقسم يزيد على هذه الأسطر القليلة>>[2].

وفي الخصائص ما يؤكد أن ابن جني كان آخذا بفكرة العامل الأصيلة عند سلفه البصريين، ويدل النص الآتي على ما سبق الحديث عنه: << ألا ترى أنك إذا قلت قام بكر، ورأيت بكرا، ومررت ببكر فإنك إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل >>[3]، وقوله: << يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل >>[4]، وقوله في عمل الفعل: << إن أصل عمل النصب إنما هو للفعل وغيره من النواصب مشبها في ذلك الفعل >>[5].

فابن جني في هذه النصوص قائل بعمل الكلمات بعضها في بعض وهو لا يخالف الخليل وسيبويه في نظرتهم للعامل، وما قوله بعمل المتكلم إلا تنويه بدوره في إحداث المرسلة اللغوية، وكذا استحضاره للسليقة اللغوية عند العرب.

ولأن نظرتي العلة والعامل عموما هما سبب الخلاف بين المدرستين، صار لزاما أن نورد موقف ابن جني منها.

ومعرفة مسائل الخلاف تقتضي الاستقراء لما ورد في كتب الخلاف، واعتماد البحث سيكون على كتاب أبي البركات الأنباري، لأنه أقدم ما وصل إلينا في هذا المجال، وعليه المعول في مجال المسائل الخلافية.

هذا الاستقراء ينصب على كتاب الخصائص بالموازاة مع الكتاب السابق الذكر، وفيه أورد موقف ابن جني منها وانتصاراته للمدارس النحوية، وفيما يلي مسائل انتصر فيها للمدرسة البصرية:

---

(1) – ينظر :الخصائص، 149/1 .

(2) – نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د: حسن خميس الملخ، دار الشروق ط/1 ، (2000م) 67 .

(3) – المصدر السابق، 37/1 .

(4) – المصدر نفسه، 391/2 .

(5) – المصدر نفسه، 183/1 .

1ــ يرى ابن جني أن عامل نصب المفعول به هو الفعل[1]، إذ يقول: << عامل النصب في المفعول به هو الفعل السابق >>[2].

2ــ عامل نصب المضارع بعد "حتى" مضمر وجوبا، وكذلك بعد "أو"، و"فاء السببية"، و"واو المعية"[3].

3ــ العامل في باب التنازع هو الفعل الثاني[4].

4ــ نعم وبئس فعلان، وكذلك فعل التعجب[5].

5ــ المفعول معه منصوب بالفعل مع توسط واو المعية[6].

6ــ الاسم المرفوع بعد إذا الشرطية في مثل: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾[7] فاعل لفعل محذوف، وكذلك بعد همزة الاستفهام في مثل: << أزيد قائم >>[8].

7ــ علة بناء الاسم شبهه بالحرف أو تضمنه معناه[9].

8ــ الإعراب في الأسماء فرع من الأفعال، وإنما أعرب المضارع لشبهه باسم الفاعل[10].

وإن كان ابن جني ذهب مع البصريين في مسائل عدة، فهذا لم يمنعه أن يأخذ بوجهة الكوفيين في مسائل أخرى مثل:

1ــ أعمل إن النافية عمل ليس تابعا في ذلك لأستاذه الفارسي[11].

---

(1) – الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تح: محمد صبحي البدر، الدار النموذجية، عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط/1، (1424هـ 2003م)، (المسألة الحادية عشرة) ، 66 .

(2) – الخصائص 102/1 .

(3) – المصدر نفسه، 263/1، والإنصاف، الأنباري، (المسألة الثالثة عشرة)، 71.

(4) – المصدر نفسه، 209/2 .

(5) – الإنصاف، الأنباري، (المسألة الرابعة عشرة) 81 .

(6) – المصدر نفسه، (المسألة الثلاثون) 200.

(7) – سورة الانشقاق ، 1 .

(8) – الخصائص ، 380/2 .

(9) – المصدر نفسه، 189/1 .

(10) – المصدر نفسه، 63/1 .

(11) – المصدر نفسه، 110/1 .

2ـ إعمال المصدر مضمرا في الظرف مثل: << قيامك أمس أحسن وهو اليوم قبيح >>، فأعمل العائد على القيام في اليوم[1].

3ـ "حاش" في: << حاش الله >> عند ابن جني فعل، بينما ذهب البصريون إلى أنها اسم مرادف للبراءة.

فابن جني إن نزع إلى المدرستين؛ فهو يثبت موضوعية الباحث، بأخذه برأي البصري دون تعصب، وأخذه بعلة الكوفي إن رأى فيها القوة أكثر من سابقتها.

وإن لم يجد القوة في كلتا العلتين، فإنه يجتهد للوصول إلى العلة الحقيقية، ومثال ذلك ما جاء به حين قال بأن أدوات النداء ليست أسماء أفعال عملت في المنادى*، بل هي حروف تعمل فيه لنيابتها مناب الأفعال[2].

اجتهد ابن جني في مسائل أخرى فتمرد عن المدرستين حين أعمل "ليس" في المعارف، وكان الجمهور على أنها لا تعمل إلا في النكرات، كما أنه قال بمنع الاسم من الصرف لأسباب كلها معنوية ما عدا سبب وزن الفعل في مثل أحمد ويزيد[3].

وليس الهدف من إيراد هذه المسائل الخلافية هو إحصاء عام لكل المسائل للتوصل من خلال ذلك إلى نسبته إلى إحدى المدارس، وإنما هو تأكيد ما سبق الحديث عنه في الصفحات السابقة عن سعة اطلاع ابن جني على ما خلفه سلفه من مؤلفات ومسائل لغوية وقدرته على التبصر، ودقة النظر.

كما أن هذه العملية تؤكد لنا ما ذهب إليه شوقي ضيف في نسبة ابن جني إذ يقول فيه (كان كثيرا ما يصف البصريين باسم أصحابنا، وكثيرا ما يضعهم في مقابل البغداديين، ... وكأنما ينزع نفسه منهم نزعا، فهو بغدادي من طراز آخر،

---

(1) – الخصائص، 19/2 .

* – رأي أبي علي الفارسي .

(2) – المصدر نفسه، 277/2 .

(3) – المصدر نفسه، 109/1 .

طراز أبي علي والزجاجي، طراز كان ينزع إلى البصريين، وهو الطراز الذي عم وساد منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)[1].

خلاصة:

حوى كتاب الخصائص تقنيات المنهج الوصفي. استخدمها صاحبه لأجل الوصول إلى معاينة المادة اللغوية. من هذه التقنيات نجد: الاستقراء، والتحليل، والتعليل.

فابن جني اعتمد الاستقراء تقنية لأجل تحقيق معالجة وصفية للغة، وبهذا كان قريبا منها بكامل مستوياتها اللهجية والفصحى.

كان ابن جني محللا لغويا بارعا، إذ تناول اللغة العربية بمستوياتها التركيبية والإفرادية، ولعل التحليل التقنية الأكثر إجرائية في الوصول إلى خصائص اللغة الدقيقة في مستوياتها المختلفة.

نظريتا العامل والعلة النحويتين أصدق مثال على تفكير ابن جني التعليلي، فهو لا يقبل الظاهرة اللغوية إلا بالعود إلى سببها، واختبار ثباته أمام النقد. فإن لم يقتنع به أوجد علة مقنعة له، هذا وإن خرج عن علل المدرستين، ولا غرو فهو من دعاة التحرر في الرأي بحثا عن اليقين.

---

[1] ـ ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف، 288.

الفصل الثالث: المستويات اللغوية في كتاب الخصائص.

المبحث الأول: علم الصوت.

المبحث الثاني: علم الصرف.

المبحث الثالث: علم النحو.

المبحث الرابع: علم الدلالة.

الفصل الثالث: المستويات اللغوية في كتاب الخصائص.

عنون هذا الفصل بما هو عليه قصد إبراز دراسة أبي الفتح للغة العربية وتوخيه مشروع الكشف عن أسرار الظاهرة اللغوية، إلا أنه جاء على منوال النظرية الحديثة للغة.

وهذا لإدراكنا أن: (ابن جني من خلال خصائصه امتلك نظرة ثاقبة ومنهجا محكما في البحث. فقد عمد إلى تنظيم الدراسة اللغوية تنظيما دقيقا معتمدا على مستويات الدراسة اللغوية: صوتية " phonétiques ــ phonology " وصرفية " morphology "، ونحوية "syntoxe"، ودلالية "semantics")[1].

على هذا القول اعتمدت في تقسيم الفصل إلى مباحث، كان عنوان كل مبحث أحد المستويات السابق ذكرها.

المبحث الأول: علم الصوت:

اهتم علماء اللغة العربية بالصوت بوصفه وحدة لغوية منطوقة، كما اختصوا في اختلاف اللهجات، وتعدد القراءات القرآنية، وما هذه الدراسات إلا أمارة على مباحثة العربي للاختلافات الصوتية.

وغير بعيد عن ابن جني أن يهتم بالدرس الصوتي ــ وهو الذي ورث علم الخليل وسيبويه ــ بمباحث تحمل عناوين دالة على الاهتمام بالصوت اللغوي مثل: الإدغام، والإبدال، والإمالة، كما ذكر مخارج الأصوات ووصف جهاز النطق.

لكن قبل الحديث عن الدرس الصوتي في الخصائص لا بد من الإشارة أن هذه الدراسة ستكون منقسمة إلى قسمين: الأول يمثل علم الأصوات النطقي في كتاب الخصائص "phonétique "، والثاني يمثل علم وظائف الأصوات "phonology ".

([1]) ــ تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني (دو سو سير نموذجا) الحديث، بلمليانى بن عمر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (2006م)، 43 .

الفصل الثالث: المستويات اللغوية في كتاب الخصائص.

عنون هذا الفصل بما هو عليه قصد إبراز دراسة أبي الفتح للغة العربية وتوخيه مشروع الكشف عن أسرار الظاهرة اللغوية، إلا أنه جاء على منوال النظرية الحديثة للغة.

وهذا لإدراكنا أن: (ابن جني من خلال خصائصه امتلك نظرة ثاقبة ومنهجا محكما في البحث. فقد عمد إلى تنظيم الدراسة اللغوية تنظيما دقيقا معتمدا على مستويات الدراسة اللغوية: صوتية " phonétiques ــ phonology " وصرفية " morphology "، ونحوية "syntoxe"، ودلالية "semantics")[1].

على هذا القول اعتمدت في تقسيم الفصل إلى مباحث، كان عنوان كل مبحث أحد المستويات السابق ذكرها.

المبحث الأول: علم الصوت:

اهتم علماء اللغة العربية بالصوت بوصفه وحدة لغوية منطوقة، كما اختصوا في اختلاف اللهجات، وتعدد القراءات القرآنية، وما هذه الدراسات إلا أمارة على مباحثة العربي للاختلافات الصوتية.

وغير بعيد عن ابن جني أن يهتم بالدرس الصوتي ــ وهو الذي ورث علم الخليل وسيبويه ــ بمباحث تحمل عناوين دالة على الاهتمام بالصوت اللغوي مثل: الإدغام، والإبدال، والإمالة، كما ذكر مخارج الأصوات ووصف جهاز النطق.

لكن قبل الحديث عن الدرس الصوتي في الخصائص لا بد من الإشارة أن هذه الدراسة ستكون منقسمة إلى قسمين: الأول يمثل علم الأصوات النطقي في كتاب الخصائص "phonétique "، والثاني يمثل علم وظائف الأصوات "phonology ".

([1]) ــ تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني (دو سو سير نموذجا) الحديث، بلمليانى بن عمر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (2006م)، 43 .

أ ــ علم الأصوات النطقي في كتاب الخصائص: تعد مدرسة "براغ" أول من استعمل هذا المصطلح، ويعرف بأنه: (العلم الذي يدرس الأصوات دراسة علمية لا تخص لغة بعينها) [1]، يندرج تحت هذا العنصر مجموعة من العناصر أهمها:

1ــ مخارج الأصوات:

تحدث ابن جني عن مخارج الأصوات، وإن لم يعقد لذلك أبوابا بعينها كما فعل في سر الصناعة[2]، إلا أنه تعرض لها في تعليله لبعض الظواهر الصرفية.

ومثال ذلك: قلب تاء "افتعل" إذا جاءت بعد أصوات الإطباق، كما تحدث عن علاقة الدلالة بالصوت في تعليله << تقارب الكلمتين هز وأز في المعنى لتقارب الهمزة والهاء في المخرج >>[3]، وكذلك برر << قرب معنى الأسف والعسف>>[4]، بقرب الهمزة من العين مخرجيا.

وقريب من ذلك ما قاله في << قرب اللام والراء في المخرج، والميم والباء، والدال قريبة في مخرجها من التاء، >>[5].

ويحدد مخرج النون الساكنة بقوله: << النون الساكنة حرف خفي، وفيها غنة تخرج من الأنف >> [6].

أما الهمزة فهي << حرف نأى منشؤه >> [7]؛ ويقصد بذلك بعد مخرجها ــ وهو لا يريد سوى الحلق ــ ويحدد مخرج العين حين يعلل لحركة الإتباع في شِعِير وبِعِير فيقول: << قد يقرب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو: شعير وبعير، وقلما جاء في غير حروف الحلق >> [8].

---

(1) ــ مبادئ اللسانيات، د/ أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، (1419هـ / 1989م)، 40 ودراسات في الدلالة والمعجم، د/ رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب، (د ط)، (2001)، 14.

(2) ــ سر الصناعة، 6/1.

(3) ــ الخصائص، 499/1.

(4) ــ المصدر نفسه، 502/1.

(5) ــ المصدر نفسه، 502/1.

(6) ــ المصدر نفسه، 104/1.

(7) ــ المصدر نفسه، 352/1.

(8) ــ المصدر نفسه، 363/1 ، 497/1.

وقد أقر الدرس الصوتي الحديث ما ذهب إليه ابن جني إذا أدركنا أن: << الحلق عند القدامى أوسع مما يراد به عند المحدثين حيث تدخل فيه الحنجرة والوتران >>[1].

2 ـ صفات الأصوات:

للأصوات صفات فارقة تميز الواحد مها عن الآخر، وقد << قسمت هذه الصفات إلى قسمين: الصفات العامة، والصفات الخاصة >> [2]:

أولا: صفات لها ضد:

ـ الجهر والهمس: عرف سيبويه الصوت المجهور بأنه: << حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس >> [3]، وقد عبر ابن جني عن الجهر بحصر الصوت إذ يقول في وصف " الطاء": << وأحصر للصوت ...>> [4]، كما يقول في وصف حرف "السين": << حرف ضعيف >>[5]، فالحصر عنده بدل الجهر، وهو يقصد انحباس النفس، أما الضعف فيمثل وقوع الصوت على أذن السامع، فالسين صوت مهموس، وبهذا تضعف قوته الإسماعية.

ـ الشدة والرخاوة:

استعمل ابن جني المصطلحين؛ إذ نعت "الشين" بأنها: << حرف شديد >>[6]، ووصف "الخاء" بأنه: << حرف رخو >>[7]، وهو بهذا يخالف تصنيف سيبويه للأصوات الشديدة، والتي يحصرها في << الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء >>[8]، والرخوة، والتي يحصرها في

---

(1) ـ مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، 130.
(2) ـ فصول في علم اللغة العام، د: محمد علي عبد الكريم الرديني دار عالم الكتب، ليبيا، ط1 (1423هـ / 2002م)، 180.
(3) ـ الكتاب، سيبويه، 434/4 .
(4) ـ الخصائص، 509/1 ، 512.
(5) ـ المصدر نفسه، 511/1 .
(6) ـ المصدر نفسه، 513/1.
(7) ـ المصدر نفسه، 509/1.
(8) ـ الكتاب، سيبويه، 434/4.

<< الهاء، والحاء، والغين والخاء والشين، والظاء، والثاء، والفاء >>[1]، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الدرس الحديث يطلق صفة الانفجاري على الصوت الشديد، وصفة الاحتكاكي على الصوت الرخو[2].

وجدير بالذكر هنا أن هناك حروفا بين الشديدة والرخوة[3]، وهي " العين، واللام والراء، والنون، والميم "، وسميت بالحروف المتوسطة[4]، وهنا لا يسع الباحث إلا الانبهار حول هذه النتائج التي توصل إليها ابن جني في تحديد الأصوات الشديدة والرخوة مع أنه لم يع وجود الوترين الصوتيين وهما المسؤولان عن إنتاج الصوت الشديد.

ـ الإطباق والانفتاح:

حروف الإطباق أربعة هي: << الصاد، والضاد، والطاء، والظاء >> [5]، وقد عرف ابن جني الإطباق بمصطلح التصعيد بأن قال: << الطاء سامية متصعدة>>[6]،

ووصفه هذا يؤكد به دور اللسان في نطقها، فهي متصعدة صعود طرفه أثناء إخراجها. بهذا نجده يتفق والدرس الحديث كما ذكر تمام حسان (حيث يسهم اللسان وطرفه في إخراجها، وهي بهذا الوصف في البحث الصوتي الحديث) [7].

ولأن الأشياء تتميز بأضدادها، فإن الأصوات المنفتحة هي ما عدا تلك الأربعة، وفي الخصائص حديث عن هذه الصفة حينما يعلل صاحبه (لقلب تاء افتعل وما يتصرف منها طاء، إذا جاء بعد أحرف الإطباق) [8].

ـ الاستعلاء والاستفال:

---

(1) ـ الكتاب، سيبويه، 434/4 - 435 .
(2) ـ الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، دار وهدان، ط/5 (1979م)، 127 .
(3) ـ المصدر السابق، 435/4.
(4) ـ سر صناعة الإعراب، 69/1 .
(5) ـ المصدر السابق، 436/4.
(6) ـ الخصائص، 509/1، 512.
(7) ـ ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط) (1407هـ/ 1980م)، 115
(8) ـ ينظر: المصدر السابق، 274/1 ، 496/1.

يُعرَّف الاستعلاء بأنه: << ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى الحنك عند النطق بالحرف >>[1]، ويعدد ابن جني حروف الاستعلاء بقوله: << أربعة فيها الاستعلاء والإطباق، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، أما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها >>[2].

ولم يتحدث عن << قلب السين في "السوق" و "سقت" صادا، إلا بعلة وجود حرف الاستعلاء القاف >>[3]، فهو كان مدركا لحقيقة الاستعلاء مع أنه وصفه بأوصاف مختلفة كالغلظة، والقوة، والسمو، والصلابة، فمثلا يقول عن "الطاء سامية"[4]، فإن أولت صفة التصعد بالإطباق فلا أجد هنا صفة السمو إلا استعلاء.

ثانيا: صفات ليس لها ضد:

ـ التفشي: وصف صاحب الخصائص "الشين" بأن << فيها تفش >>[5]. وهو الصوت الوحيد الذي يوصف بهذه الصفة.

ـ التكرار: الصوت المكرر هو "الراء" يقول ابن جني فيها << الراء فيها معنى التكرار >>[6]، وهو بهذا الوصف يتفق مع الدرس الحديث في وصف الراء لأنه حين نطقها (يقوم اللسان بضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة) [7].

3ـ الصوامت والصوائت: فرق ابن جني في خصائصه بين هذين الصنفين من الأصوات، فأطلق على الصوامت اسم المتحركات، والصوائت اسم السواكن إذ يقول << الإعلال للسواكن ـ لضعفها ـ أقرب منه إلى المتحركات ـ لقوتها ـ >>[8]، ويقسم الصوائت إلى صغيرة وكبيرة، إذ يرى أن "الحركة حرف

---

(1) – الكتاب، سيبويه، 436/4.
(2) – سر صناعة الإعراب، 71/1.
(3) – الخصائص، 497/1 .
(4) – المصدر نفسه، 409/1 ، 512.
(5) – المصدر نفسه، 513/1 .
(6) – المصدر نفسه، 513/1.
(7) – ينظر: مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان، 132.
(8) – المصدر السابق، 98/2 .

صغير" ودليله في ذلك أن هناك من يجعل << الضمة الواو الصغير، والكسرة الياء الصغير، والفتحة الألف الصغير >> [1].

من المقولات السابقة نجد أن الصوائت في الخصائص تتفرع إلى ستة: ثلاثة هي الكبيرة، (الواو، والياء، والألف)، وثلاثة أخرى أنصاف لها وهي: (الضمة، والكسرة، والفتحة).

ب- علم وظائف الأصوات في الخصائص: يدرس هذا العلم: (كيفية تأدية الأصوات الإنسانية لوظائفها في اللغات المختلفة، وطريقة تناسقها في أنماط خاصة بكل دقة)[2]، ومعالجة هذا العلم في اللغة العربية، وفي الخصائص خصوصا، يقود إلى الحديث عن ظواهر أوجزها صاحبه في أبواب: الإدغام، والإمالة، والإعلال والإبدال. وهي أبواب تتطابق ومباحث هذا العلم؛ فأسماء الأبواب السابقة تمثل ظواهر يتم بها تحقيق الانسجام الصوتي.

ولأن المجال لا يسع دراسة هذه الظواهر كلها فإنه سيتم تخير بعضها لإظهار هذا العلم في كتاب الخصائص.

ـ الإمالة: اعتنى ابن جني في خصائصه بهذه الظاهرة وذكر أسبابها، مع أنه يقول بجوازها لا وجوبها، << الأسباب الستة الداعية للإمالة* هي في الحقيقة علة جواز لا وجوب >>[3]، ويضيف موضحا: << فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة؛ نحو فتحة عين عالم، وكاف كاتب، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة >> [4]. فهذه الفتحة تحمل شيئا من صفات الفتح وبعضا من الكسر فتكون هجينة، وليست الهجنة من صفات هذه الفتحة وحدها، بل نجد << الألف

---

(1) – الخصائص، 98/2.

(2) – ينظر: المصدر نفسه، 199/2.

* الأسباب الستة الداعية للإمالة هي: الكسرة، والياء، وأن تكون الألف منقلبة عن الياء، أو تكون بمنزلة المنقلبة عن الياء، أو لأن الحرف الذي قبل الألف قد ينكسر على حال، أو الإمالة للإمالة (ينظر: اللمع في العربية، ابن جني، تح: حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ط/2 ، (1405هـ/1985م) 311 ، 312).

(3) – المصدر نفسه، 192/1.

(4) – المصدر نفسه، 264/2 .

التي بين الألف والياء، والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم؛ نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة، وكذلك ألف قام وغاب >>.

وآخر هذه الحركات التي جاءت بين الكسرة والضمة، كسرة قاف "قيل" فهذه الكسرة المشمَّة ضما، ومثلها الضمة المشمَّة كسرا؛ كضمة قاف المنقر وضمة عين مذعُور ...)، فهذه الحركات غير موجودة أصلا في الكلام، وإنما توجدها التراكيب، فهي فروع عن أصول. و للتوضيح أكثر اقترح الترسيمة الآتية:

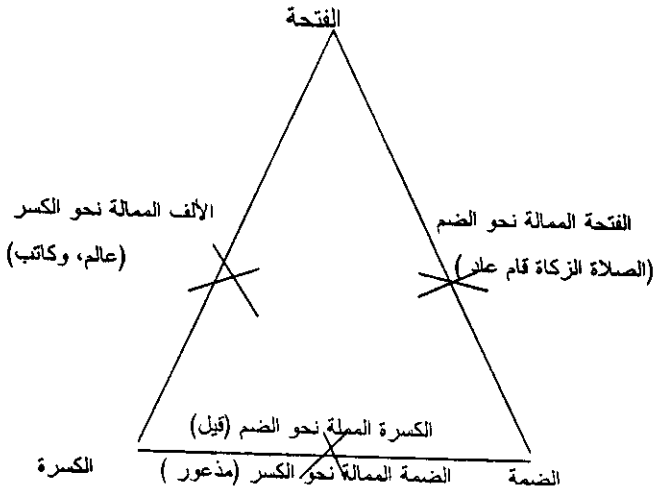

1ـ التماثل الصوتي: "Assimilation" وهو ما يحدث حينما يلتقي صوتان متنافران في المخرج أو الصفة، فيحاول كل واحد منهما التأثير في الآخر، يقول ابن جني في ذلك: << يؤثرون في الحرفين المتباعدين أن يقربوا أحدهما من صاحبه، نحو: سويق، وصويق. ومساليخ، ومصاليخ. واصطبر، وازدان >>[1]، وهو نوعان حسب تأثير السابق في اللاحق أو العكس.

ـ أ ـ التماثل المقبل: " Progressive Assimilation " ويحدث عندما يؤثر الصوت السابق في الصوت اللاحق، ومثاله ما جاء في << قلب تاء افتعل طاء بعد أحرف الإطباق، اصطبر، ازدان >> [2].

ـ ب ـ التماثل المدبر: " Régressive Assimilation " ذكر ابن جني ما يعرف بالتماثل المدبر في حديثه عن (قلب السين في سويق إلى صاد وتحويل

(1) – الخصائص، 28/2 .
(2) – المصدر نفسه، 28/2 .

مساليخ إلى مصاليخ)[1]. فالقاف وهي حرف مستعل أثرت في السين أن قلبتها صادا وهي حرف مطبق، والإطباق أقرب إلى الاستعلاء من الاستفال، وكذلك الخاء فعلت مع السين، لكن الملاحظ والغريب هنا هو تأثير الخاء عن بعد في السين، وهذا ما يدل على قوتها وقدرتها على التأثير ووصف الصلابة مؤداه القوة.

وفي الخصائص أمثلة أخرى تمثل الظاهرة مثل<< اطّرد، وادّعى، وادّكر... >>[2]، وكلها أمثلة عن تأثير الأصوات في بعضها قصد إحداث توازن صوتي حال النطق بها متتالية دون الإدغام.

ـ ج ـ التماثل التام: " Tatol Assimilation " يسمي ابن جني هذا النوع من المماثلة بالإدغام الأكبر على غرار المماثلتين السابقتين اللتين يسميهما الإدغام الأصغر، فهو إدغام أكبر لأنه يحدث فيه اندماج الصوتين بأن يصيرا واحدا، وعند نطقهما يصير اللسان كأنه ينطق صوتا واحدا، << ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معا نبوة واحدة >>[3]، لكن هذا لا يحدث إلا إذا كان الحرف الأول من المثلين ساكنا، بمعنى أنه لا يوجد حاجز ـ وهو الحركة ـ ومن الأمثلة لذلك نحو: << ودَّ أي وتد، وامَّحى، وامَّاز، وانَّاقل >>[4]، ومثال آخر نحو قولك: << قطَّع، وسُكَّر >> [5].

ـ د ـ التماثل بين المصوتات:

سبق الحديث عن التماثل الصوتي بين الصوامت، وهنا أقف على أثر تقريب الأصوات الصائتة بعضها من بعض، وهو ما يسمى "الإعلال"، وهو عند ابن جني (... إلى السواكن ـ لضعفها ـ أقرب منه على المتحركات ـ لقوتها ـ)[6]، والمقصود بالسواكن هو أحرف اللين (الواو، والياء، والألف)، أما القوة

---

(1) ـ ينظر: الخصائص، 28/2.
(2) ـ المصدر نفسه، 350/1 ، 496 .
(3) ـ المصدر نفسه، 28/2.
(4) ـ المصدر نفسه، 490/1 .
(5) ـ المصدر نفسه، 490/1 .
(6) ـ ينظر المصدر نفسه، 130/1.

فلأن المصوتات لا مخرج لها، أما الصوامت فلها مخرج ينضغط فيه الهواء الحامل للصوت فيكسبه القوة. أي انفجار الهواء عند مروره عبر الجهاز النطقي.

ومرد هذا التغير الذي يطرأ على الصوائت إلى أنه: << يتعذر النطق على الأصل، ومنه ما يمكن النطق بأصله على استكراه ومشقة >>[1]، فصعوبة النطق هي ما يجعل الناطق يميل إلى قلب الثقيل إلى ما هو أخف منه.

فقد ذكر (أن الواو تقلب ياء بعد الكسر، مع وجود حاجز ساكن بينهما يمنع ذلك نحو: " صبية "، وهذا استحسان من غير علة موجبة، ولا يقاس عليه)[2]، وهذا استحسان لما قد رفضه ابن جني سابقا، إلا أن ما يسوغ كلامه أن الحاجز إذا كان ساكنا، فليس بحاجز قوي يمكنه منع الإدغام.

وله مثال عن هذا في قلب الواو ياء في: (ميزان وميعاد ، لثقل الواو الساكنة بعد الكسر)[3]، والأصل في الكلمتين مِوْزان ومِوْعاد فكانت الواو الساكنة ثقيلة النطق بعد الكسرة، فقلبت الواو الساكنة ياء لأن الياء أقرب إلى الكسرة.

المبحث الثاني: علم الصرف في كتاب الخصائص:

سبق للذكر أن عناية ابن جني بالصرف كانت أكثر من عنايته بالموضوعات اللغوية الأخرى، إذ يقول أحدهم في ذلك: << لم يتكلم أحد في التصريف أدق من كلام ابن جني عليه، فقد كان ــ رحمه الله ــ أب الصرف العربي بلا منازع >>[4]، وهنا عرض لما جاء في هذا الكتاب من موضوعات صرفية، وقبل ذلك نحاول أن نعرف بعلم الصرف وموضوعه.

ــ علم الصرف: هذا العلم هو فرع من العلوم اللغوية، يهتم ببنية الكلمة ويختص بوصف << أصناف متنوعة من الكلمات والأفعال والأسماء والصفات والضمائر،

---

(1) ــ الخصائص، 130/1.
(2) ــ ينظر: المصدر نفسه، 176/1 ، 134.
(3) ــ ينظر: المصدر نفسه، 101/1.
(4) ــ تأملات في كتاب الخاطريات لابن جني، د: فوزي الشليب، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن، كانون الأول 2002م ع/63، 51.

والتغيير الذي يصيب أشكالها >>[1]، ويقول تمام حسان في هذا الوصف: << أنه يتناول الجانب الشكلي للبنية، وهو تحديد الأصول والزوائد وما يتصل ببنية الكلمة من لواصق >>[2].

ـ موضوعات علم الصرف:

أ ـ بنية الكلمة وأحرف الزيادة: الكلمة العربية تتألف من عنصر ثابت وآخر متحول، فالثابت هو الجذر الذي يؤلف هيكل الكلمة، أما المتغير فهو ما يضاف للكلمة لتحديد صيغتها سواء كانت حركة أو حرفا، فالزيادة تعني: << إلحاق الكلمة ما ليس منها >> [3].

وابن جني في موضوعاته الصرفية لا يغفل الحديث عن أصول الكلمات والزيادات التي تطرأ عليها، وما يؤكد ذلك حديثه عن الإلحاق في باب الغرض من مسائل التصريف: << وذلك عندنا على ضربين: أحدهما: الإدخال لما تبنيه في كلام العرب والإلحاق له به، والآخر التماسك والرياضة به والتدرب بالصنعة فيه>>[4].

ومن المعلوم أن: << الكلمة العربية مبنية على أصول وحركات، إلا أنها لا تتوقف عند هذا الحد، بل تجعل من أحرف الزيادة صيغا نهائية تحدد أوزانها الصرفية، هذه الأوزان بتباينها تحدد دلالة الكلمات >> [5].

كما سبق الذكر نجد "تمام حسان" على الرأي القائل بتمفصل الكلمة العربية إلى مفصلين " ثابت، ومتحول"، ولعل صنوه نوزاد حسن قد حدد كل نوع بالتفصيل إذ يرى أن: (الكلمة العربية لها جزءان: ثابت ومتحول، الأول: تمثله

---

(1) ـ علم اللغة العام، فرديناال دوسوسير، تر: د/ يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، (د ط) 1985م)164 .

(2) ـ مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان، 204 .

(3) ـ الأشباه والنظائر، السيوطي، 227/1 ، 228 .

(4) ـ الخصائص، (باب الغرض من مسائل الصرف).

(5) ـ ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، 181 .

الصوامت المكونة للكلمة، والثاني: يتجلى في الـصوائت أو الحركـات ...) [1]، ولتوضيح هذا التمشكل أقترح الترسيم الآتي:

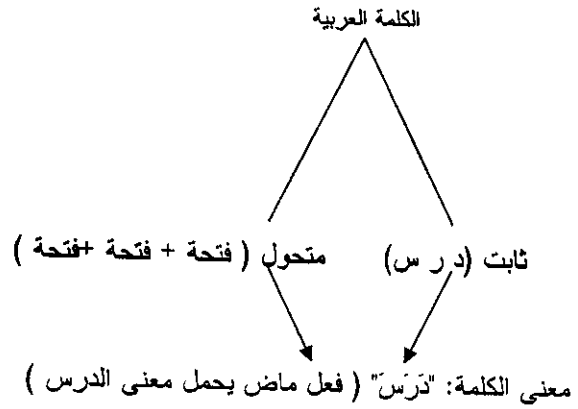

ب ــ التحولات الشكلية: (القلب المكاني)

القلب المكاني: هو ظاهرة صرفية ترتبط بتغيير مواقع الأصـوات داخـل الكلمة الواحدة مع الحفاظ على المعنى الواحد للكلمة، ويعود سببه إلى قانون اليسر اللغوي. ويعرفه صاحب شذا العرف بأنه: (تقديم بعض أصـوات الكلمـة علـى بعضها لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي) [2].

وهذا الموضع لا مجال فيه للحديث عن ما يسميه ابن جني بـ " الاشـتقاق الكبير" أو " الاشتقاق الأكبر" وهو عنده: << أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثيـة فتعقد على تقاليبه الستة معنى عامـا نحـو: [ك ل م] و [ك م ل] و [ل م ك] ... >> [3]، لأن هذا موضعه الإعلال بالقلب والإبدال، وإنما مدار الحديث هنا هو تحول صوت عن موضعه إلى موضع غيره.

حدد ابن جني الفارق بين اللفظين فإن << كل لفظين وجد فيهما تقـديم أو تأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، فهو القيـاس

---

(1) ــ ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد حسن، 169 .
(2) ــ ينظر: شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، (1313هـ ــ 1983م) 23.
(3) ــ الخصائص، 205/2.

... وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه >> [1]، فالحد الفاصل بين اللفظين هو التصريف والمصدر، فإن اتضح أن كلا اللفظين له تصريف خاص وذو مصدر يكون كلاهما أصل منفصل عن الآخر، فالكلمتان "جذب" و "جبذ" أصلان لأن: << كل واحد منهما متصرف وذو مصدر>> [2].

والقلب المكاني ظاهرة لغوية تكثر في كلام العرب، وفي الخصائص: أمثلة عديدة تناولها ابن جني في أبواب عدة، وهذه أمثلة عن الموضوع:

أورد صاحب الخصائص المثال الشهير عن القلب المكاني وهو كلمة "أيس" ويعلل لوجود القلب بأنه: (مقلوب لوجود الإعلال فيه ولم يعل وأن يقال: [آسَ وإسْت]، كـ [هاب وهِبْت]، وكان يلزم في مضارعه [أوَاسُ] كـ [أهَاب] فتقلب الفاء ـ لتحركها وانفتاحها ـ واوا) [3].

والدليل هنا هو وجوب الإعلال مع عدمه*، فالكلمة "يئس" أصل للمقلوب "أيس" بتقديم العين على الفاء، فأصبحت الكلمة "أيس" على وزن "عَفِل، إضافة إلى أن لهما نفس المصدر "اليأس"

يئس ← تحولت بالقلب ← أيس
فعل ← عفل

وللقلب المكاني أمثلة عديدة في الخصائص (كقسي وأصلها فعول قووس غيرت إلى قسو فلوع ثم إلى قسي فليع، أو فعِلا) [4].

فالكلمة قسي مفردها قوس: فعْل، أما الجمع قُوُوس: فعول، ولصاحب التطبيق الصرفي شرح لكيفية حصول القلب المكاني فيها، نوجزه في النقاط الآتية[5]:

---

(1) ـ الخصائص، 442/1.
(2) ـ المصدر نفسه، 205/2.
(3) ـ ينظر: المصدر نفسه، 205/2 ـ 206.
* ـ الياء في "أيس" صحيحة مع أنها متحركة ومنفتحة وتوجب إعلالها قلبها واوا.
(4) ـ المصدر نفسه، 205/2.
(5) ـ المصدر نفسه، 205/2.

1ــ قدمت اللام مكان العين لتصير قُسوو: فلوع ثم قلبت الواو الأخيرة ياء فصارت قسوي.

2ــ قلبت الواو الأولى ياء لتقارب الثانية، لتصير قُسُيّ، ثم قلبت الضمة كسرة لتناسب الكسرة فصارت قسي.

هذا والخصائص يحمل أمثلة كثيرة عن القلب المكاني[2] لا يمكن عدها.

المبحث الثالث: علم النحو في كتاب الخصائص:

كتاب الخصائص ضُمّن أبوابا مهمة، وكثيرة تتعلق بعلم النحو، وليس أدل على ذلك أن ثاني باب* تضمن كلاما عن الجملة، وهي مادة النحو، وجاء رابع باب بعنوان: (باب القول على النحو)[3].

ومنهج ابن جني في تحليل الجملة ــ والذي ثبت أنه وصفي ــ يحاول به تقصي أجزائها وضبط قواعدها، فالنحو عنده هو ضبط الكلام وفق كلام العرب إذ يقول: << هو انتحاء سمت كلام العرب ...>>[4]، ويجعل الكلام متمثلا في الجملة << أما الكلام فهو لفظ مستقل بنفسه، مفيد معناه، وهو الذي يسميه النحويون: الجملة >>[5].

قواعد العلاقات النحوية في الخصائص: " Grammatical Relation Rules "

1 ــ القرائن المعنوية:

أهم قرينة معنوية يمكن التمثيل بها هي قرينة الإسناد، وهي علاقة خفية تربط عناصر الجملة بعضها ببعض، وبها يؤلف المتكلم تماسكا بين أجزاء

---

(1) ــ المصدر نفسه، 205/2.

(2) ــ الخصائص، 205/2.

* ــ باب القول على الفصل بين الكلام والقول.

(3) ــ المصدر نفسه 34/1 .

(4) ــ المصدر نفسه، 34/1.

(5) ــ المصدر نفسه، 76/1.

ويعرف عبد القاهر الجرجاني [816 هـ] في تعريفاته الإسناد بقوله: << الإسناد في عرف النحاة، عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة، أي على وجه يحسن السكوت عليه >> [1]. ويكاد يجمع النحاة على أن الإسناد هو: (تعليق خبر بمخبر عنه، أو طلب بمطلوب منه، وأنه سواء في ذلك الإسناد المعنوي والإسناد اللفظي) [2].

والإسناد عملية تركيبية تقوم على ثلاثة أجزاء ــ سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية ــ هي:

ــ المسند إليه: " المبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل ".

ــ المسند: " الخبر، والفعل ".

ــ الإسناد:

ولم يكتف صاحب الخصائص بالتعريف بالجملة، إنما باحث العلاقة بين أجزائها، ومن القرائن المعنوية نجد ما ذكره في تعليل رفع المبتدأ بقوله: << إنما وجب رفع المبتدأ من حيث كان مسندا إليه ...>> [3]، فالمسند إليه في الجملة الاسمية هو المبتدأ والمسند هو الخبر.

وقريب من هذا ما تحدث عنه في إمكانية تحويل الجملة الفعلية إلى اسمية؛ إذ يرى أن: << المبتدأ فاعل في المعنى، فقولنا: "قام زيد" مثل: " زيد قام ">>[4].

2ــ القرائن اللفظية:

تبدو هذه القرائن ظاهرة في السياق، ويختص البحث بذكر ثلاثة منها:

---

(1) ــ التعريفات، للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، (د ط)، (د ت)، 202 ، 203 .

(2) ــ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 38 .

(3) ــ الخصائص، 220/1.

(4) ــ المصدر نفسه، 343/1.

أ ــ التضام: ويقصد به تعلق أجزاء الجملة أحدها بالآخر واعتماده عليه في توصيل المعنى، وتعرف في الدرس اللغوي الحديث بـــ << قواعد الحالات المتناهية>> [1]. ومثال هذه الظاهرة في علاقة الفعل بالفاعل في الجملة الفعلية، والمبتدأ بالخبر في الجملة الاسمية، وحاجة حرف الجر للمجرور، والمضاف للمضاف إليه ... وهو ما يسميه تمام حسان بـــ "التلازم "[2].

وقد اعتمد ابن جني تقنية أشبه ما تكون إلى تقنيات التحليل اللغوي، توصل بها إلى هذه العلاقة بين عناصر الجملة، فهو يرى في الفصل بين الأجزاء المتضامة قبحا، ما لم يكن هناك داع؛ << فمن قبحها الفرق بين المضاف والمضاف إليه، والفصل بين الفعل والفاعل بالأجنبي >> [3]، وما قاله في الجملة الفعلية يلحق به قوله في الجملة الاسمية << ويلحق بالفعل والفاعل في ذلك المبتدأ والخبر في قبح الفصل بينهما >> [4].

وفي تضام الجار ومجروره، يقول بعدم جواز الفصل بينهما << لا يفصل بين الجار ومجروره، لكونهما بمنزلة الجزء الواحد >> [5]، فحرف الجر ومجروره شيء واحد لا يمكن تجزئته << حرف الجر جزء من الاسم الذي يأتي بعده >>[6].

ب ــ المطابقة:

يعدها الدكتور تمام حسان من القرائن اللفظية التي توحي بعلاقة الكلم فيما بينها في السياق، وبها: << تتوثق الصلة بين أجزاء التراكيب التي تتطلبها، وبدونها تتفكك العرى، وتصبح الكلمات المتراصة منعزلة بعضها عن بعض، ويصبح المعنى عسير المنال >> [7].

---

(1) ــ المنهج الوصفي في كتاب سيبوسه،نوزاد حسن أحمد، 257 .
(2) ــ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 213 .
(3) ــ الخصائص، 164/2.
(4) ــ المصدر نفسه، 164/2.
(5) ــ المصدر نفسه، 163/2.
(6) ــ المصدر نفسه، 163/2.
(7) ــ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، 213 .

ويقول عنها في مؤلف آخر: << التعليق السياقي يقتضي المطابقة بين أجزاء معينة في السياق في بعض النواحي الآتية >>[1].

ـ العلامة الإعرابية.

ـ الشخص: " التكلم، والخطاب، والغيبة ".

ـ العدد: "الإفراد والتثنية والجمع" .

ـ الجنس: " التذكير، والتأنيث ".

ـ التعيين: " التعريف، والتنكير"

وأمر مطابقة عناصر التركيب اللغوي أمر لم يخف عن ابن جني ـ وهو قد اتبع منهجا وصفيا ـ إذ درس الجانب الشكلي للجملة، ومن ذلك العلامة الإعرابية إذ يرى أن: << رفع الفاعل لتقدمه ، ونصب المفعول لتأخره >>[2]، ومن ذلك ما قاله في البدل إذ ذهب إلى أنه: << إذا نون العلم الموصوف بـ " ابن " جاز أن يعرب صفة وأن يعرب بدلا ـ وهو الوجهة ـ >>[3].

أما المطابقة بالعدد؛ فذكرها ابن جني حينما حمل << نعت المفرد بالجمع على التأويل >> [4]. والحقيقة عنده تقتضي مطابقة النعت السببي لمنعوته في العدد.

وليست المطابقة في الجنس بالشيء المغفل في الخصائص بل نجده يتضمن حديثا عنها حينما أكد على ضرورة (أن يطابق النعت منعوته في التذكير والتأنيث، فنعت المذكر بالمؤنث وعكسه ليس متمكنا في الوصف تمكن المتطابقين)[5].

ولمؤلف الخصائص حديث عن المطابقة في التعيين، وهي مطابقة ظاهرة في الصفة والموصوف، فعنده (المعرفة لا توصف بالنكرة) [6].

---

(1) ـ ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، 238 .

(2) ـ الخصائص، 108/1.

(3) ـ المصدر نفسه، 247/2 .

(4) ـ المصدر نفسه، 406/2 .

(5) ـ المصدر نفسه، 406/2 .

(6) ـ المصدر نفسه، 408/1 .

ج ــ الربط:

يعرف أحد اللغويين العاصرين الربط بأنه (قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر. والمعروف أن الربط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين القَسَم وجوابه وبين الشرط وجوابه ...إلخ) [1].

ويحدد الروابط في الضمير العائد، و الحرف، وإعادة اللفظ، وإعادة المعنى، واسم الإشارة، و"أل" التعريف، ودخول المترابطين في عموم الآخر [2].

والربط في العربية نوعان: << الربط المعنوي والربط اللفظي >>[3]، فالمعنوي من الربط سبق الحديث عنه (الإسناد)، أما اللفظي فهنا بيان أمثلته الواردة في كتاب الخصائص.

تناول ابن جني هذا اللون من الربط (جانب الربط بـــ " الضمير ")، إذ يرى ــ كمعظم النحاة ــ أن: << السبب في إحلال الضمير محل الظاهر هو خوف الإلباس وطلب الخفة، كما إذا قلنا: " زيد ضربت زيدا " بدلا من " زيد ضربته" >>[4].

فالضمير العائد ــ هنا ــ كان رابطا بين الفعل " ضرب " والمفعول "زيد "، فكان المعنى دون تكرار اللفظ الأول.

ومن الربط بالحرف تناول ابن جني بالذكر الربط بـــ " الفاء "، فذهب إلى أن: << الفاء الداخلة على " إذا " الفجائية عاطفة، وليست زائدة ... >> [5].

والربط لا يقتصر على الكلمات، بل يتعدى ذلك إلى الجمل، وقد ذكر ذلك ابن جني حين قال: << عطف الجمل الاسمية على الفعلية بالواو ... >>[6].

---

(1) ــ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان 213.
(2) ــ المرجع نفسه، 213 .
(3) ــ المرجع نفسه، 213 .
(4) ــ الخصائص، 531/1.
(5) ــ المصدر نفسه، 511/2.
(6) ــ المصدر نفسه، 443/1.

مما سبق يتضح ــ جليا ــ أن الربط صفة تكثر في الكلام العرب، فهي من خصائص تماسكه الشكلية.

3 ــ قواعد الوصف البنيوي " قواعد الاستبدال ":

يختص << المنهج الوصفي الشكلي " Descriptive structural approach" بوصف التركيب النحوي من خلال تحليله إلى مكوناته المباشرة "Immediate constituent analysis" >>[1].

وقد اهتم ابن جني في خصائصه بالبنية الظاهرة للغة، حين تحدث عن العلاقات الداخلية التي تربط عناصر التركيب، هذه العناصر التي يمكن استبدال أحدها بآخر، شريطة أن يؤديا نفس الوظيفة اللغوية.

تمثلت هذه المباحثة في الأمثلة التي ساقها وتطرق فيها لإمكانية الاستبدال، من ذلك قوله: << قام زيد ... قام محمد >> [2]، فأدرك أن الكلمتين " محمد وزيد " يمكن أن تنوب إحداهما عن الأخرى، فإبدال الأولى بالثانية ــ على شاكلة ما قام به دوسوسير في منهجه الوصفي ــ لن يغير في معنى الجملة.

هذا عن الاستبدال في الأسماء، وله مثال آخر في الاستبدال الفاسد في الأفعال، فالجملة " قام زيد "[3] عنده لا يمكن استبدالها بالجملة " ضربت زيدا " لأن الفعل المبدل به لا يوافق الفعل المبدل فكان الاستبدال غير ممكن، لأن الفعل الأول لازم والثاني جاء متعديا.

ومن الاستبدال إمكانية قولك: " ضرب زيد، وضرب عمرو، وضرب جعفر، ونحو ذلك شرع سواء[4]، فقوله " ذلك سواء " معناه أن الاستبدال هنا لا يغير من دلالة الجملة.

4 ــ قواعد التحويل في كتاب الخصائص:

---

(1) ــ الألسنة العامة (علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام)، د: ميشال زكريا، 62 .

(2) ــ الخصائص، 328/2 .

(3) ــ المصدر نفسه، 331/2 .

(4) ــ المصدر نفسه، 331/1 .

تؤدي اللغة وظيفتها التواصلية بترتيب عناصرها وفق نظامها المتعارف عليه بين المتكلمين، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني هذا في دلائله بما سماه: "نظرية النظم " . ويرى هيمسليف: << أنه ليست هناك لغة تتميز بحرية ترتيب عناصرها، فكل عنصر تتحدد علاقته بما يجاوره >> [1].

ـ التقديم والتأخير:

يعرف التقديم والتأخير عند المحدثين بالتحويل الموضعي " tocal Transformation "، أدرك ابن جني هذه القاعدة واعتنى بها حينما تحدث عن ترتيب الكلم في العربية، وترتيب الجملة العربية النموذجي عند ابن جني: " فعل + فاعل + مفعول به" وهذا بقوله: << رفع الفاعل لتقدمه ونصب المفعول لتأخره >> [2]، إلا أنه يمكن أن يحدث تغيير في هذه البنية بتقديم أو تأخير أحد عناصر الجملة، مثل (جواز تقديم الفاعل المتصل بضمير المفعول على المفعول في نحو: جزى ربه عني عدي بن حاتم)[3].

واستحسن ابن جني تقديم أداة الاستفهام بقوله: << الاستفهام له صدر الكلام>>[4]، والأمر ذاته بالنسبة لـ " إن وأخواتها " إذ (لا يجوز تقديم خبرها عليها)[5].

ـ الزيادة:

---

(1) – المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، نوزاد أحمد حسن، 226.
(2) – الخصائص، 443/1.
(3) – ينظر: المصدر نفسه، 301/1 ، 304.
(4) – المصدر نفسه، 351/1
(5) – ينظر: المصدر نفسه، 167/2

كل وحدة لغوية داخل الجملة تقوم بوظيفة معنوية << من خلال العلاقة الناشئة بين تلك الوحدات >> [1]، والزيادة في الكلام تحوله إلى معنى جديد لم يكن له أن يحمله قبل تلك الزيادة، فالعرب << قد يزيدون في بعض الكلام تمكنا واحتياطا، لضرب من التوكيد >> [2].

والزيادة عند ابن جني في المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى << الألفاظ أدلة المعاني فإذا زادوا فيها شيئا أوجبت القسمة له زيادة المعنى به >>[3].

وللتمثيل اخترت تلك التي يؤتى بها لأجل التوكيد، وهي ما ورد في الخصائص تحت عنوان الاحتياط، وأول وسائل الاحتياط " تكرار اللفظ" نحو قولنا: << قام زيد قام زيد >>[4]، فهذا تكرار لأجل التوكيد، وللغرض نفسه نزيد " إن " و " لا " << ولا ينكر اجتماع حرفين للتوكيد لجملة الكلام، وذلك أنهم قد وكدوا بأكثر من الحرف الواحد كقولهم " لتقومن " و " لتقعدن " فاللام والنون جميعا للتوكيد) [5].

وبتحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة بطريقة التخطيط الشجري يكون تركيبها على النحو الآتي:

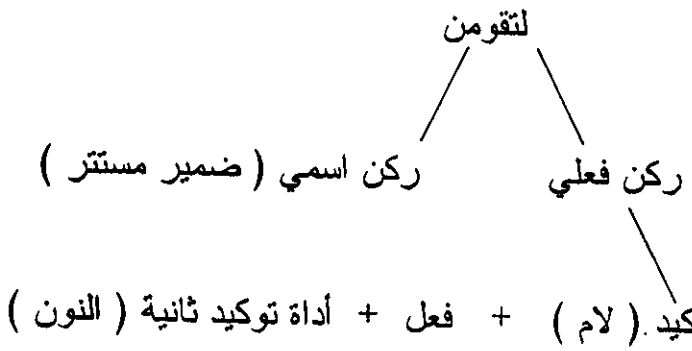

(1) – Introductory Readiry on language , p.129 نقلا عن: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، 287

(2) – الخصائص، 125/1 ، 126.
(3) – المصدر نفسه، 468/2.
(4) – المصدر نفسه، 311/2.
(5) – المصدر نفسه، 138/2.

الحذف: هذه الظاهرة << مشتركة بين اللغات الإنسانية يستعملها المتكلم لحذف المكرر>> [1]، وقد يعمد المتكلم للحذف لغرض بلاغي، مع أنه يشترط فيه عدم الإخلال بالمعنى المراد من الكلام، وقد يكون أحيانا أبلغ من النطق، ــ أو كما يقول الجرجاني ــ : (حذف المكرر أولى وآنس من النطق به) [2].

والحذف في الخصائص يتحول بتحول المحذوف، فقد يكون المحذوف حرفا، أو كلمة، أو جملة كاملة، والحذف المراد هنا هو ما شمل النوعين الأخيرين "حذف الكلمة، وحذف الجملة ".

1ــ حذف الكلمة: يمثل ابن جني بالقرآن الكريم في هذا الموضع إذ يرى أن: << القرآن لا يخلو من الحذوف، كحذف المضاف، والموصوف >> [3]، يقول: <<حذف المبتدأ في قوله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهارٍ بَلَاغٌ ﴾[4]، وتأويل ذلك " هذا بلاغ " >> [5].

ويقول في (حذف الخبر عند الجواب إذا سئلت "من عندك "؟ فتقول " زيد"، ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾[6]، والخبر المحذوف: "أمرنا" فتصير الجملة " أمرنا طاعة وقول معروف ") [7].

دراسة ابن جني للجملة العربية جعلته يتحول من مجرد وصف البنية السطحية إلى البحث عن البنية العميقة للجملة، وما بحثه عن المحذوف إلا دليل على ذلك.

---

(1) ــ النحو العربي والدرس الحديث في المنهج، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، (د ط)، (1406هـ / 1986م)، 149 .
(2) ــ ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، 117 .
(3) ــ الخصائص، 129/1 .
(4) ــ سورة الأحقاف: 35 .
(5) ــ المصدر السابق، 129/2 .
(6) ــ سورة محمد: 21 .
(7) ــ ينظر: المصدر السابق، 129/2 .

المبحث الرابع: علم الدلالة في كتاب الخصائص:

الدلالة << هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به شيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول >> [1].

أما علم الدلالة فهو العلم الذي يختص بدراسة علاقة الدال بمدلوله. ويعرفه الدكتور محمد سعيد محمد بأنه: << ذلك العلم المنوط به دراسة الرموز كافة سواء أكانت لغوية أم غير لغوية ... إلا أنه يهتم اهتماما خاصا بالرمز اللغوي >> [2].

ولابن جني حديث جيد عن الدلالة، ونشأتها ــ عموما ــ ، وقضية اللفظ والمعنى ــخصوصا ــ، فقد دافع عن عناية العرب بالمعاني، وقد تقدم المحدثين في هذا، والدلالة عنده تنقسم إلى أربعة أنواع؛ هي: الدلالة الاجتماعية، والدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية.

ــ الدلالة الاجتماعية:

يؤكد ابن جني علاقة اللغة بالمجتمع في تعريفه لها، كما نجده يشير إلى سياق الحال أو المقام في كتاب الخصائص، يقول: << والذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسسنا وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان؛ أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا، فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصورها من استخفافها شيئا أو استثقاله، وتقبله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصور بل الحافلة على ما في النفوس >> [3].

وهذه المقولة المطولة تجعلنا ندرك أن ابن جني اهتم بالمقام وسياق الكلام، فهو يتحدث على ما يحدثه الكلام في نفس المتلقي من تقبل أو رفض، وإن كان رده غير كلامي يتمثل في ملامح الوجه التي تبدي أثر الكلام في مستقبله.

---

(1) ــ التعريفات، للعلامة علي ابن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، (د ط)، (د ت)، 109.
(2) ــ في علم الدلالة، د: محمد سعيد محمد، مكتبة زهراء الشرق، ط1 ، (2002م) 14.
(3) ــ الخصائص، 260/1 .

وقد علق صاحب علم الدلالة في الكتب العربية عن هذا إذ يرى (أن الإنسان حين يكون حاضرا في مجلس ما ويسمع حوارا أو مناقشة تدور بين شخصين يمكنه فهم الكلام من سياقه بخلاف الغائب الذي يكون بعيدا عن تلك الإيماءات، والإشارات التي تبين الجو النفسي للحوار) [1].

ولأن << الوصول إلى المعنى في صورته الحقيقية لا بد أن نستخدم الطريقة التحليلية >>. فقد اعتمد ابن جني تقسيم الدلالة إلى مستويات ثلاثة هي:

ـ الدلالة الصوتية:

ذهب ابن جني إلى أن للأصوات ـ بعضها على الأقل ـ معاني تكسبها للكلمة التي تؤلفها، فالصوت القوي يستعمل للمعنى القوي << قوة اللفظ لقوة المعنى >>[2]، فلفظتي الخضم والقضم لا يفرق بينهما إلا صلابة القاف ورخاوة الخاء فكانت كلمة << قضم تفيد معنى أكل اليابس، وكلمة خضم تفيد معنى أكل الرطب >>[3].

وكذلك يرى أن كلمة "تنضخ" تفيد اندفاع الماء أو السائل بقوة وعنف، وكلمة "تنضح" تفيد أن السائل يتسرب بسهولة وبطء) [4].

ولم يتوصل إلى هذه الدلالات إلا بالعود إلى طبيعتها النطقية، وهذا ما يسميه فيرت* (بالدلالة الصوتية الصغرى) [5]، كما أن للحركة دورا في إنشاء الدلالة.

هذه الأصوات أو المقاطع الصوتية والحركات يجعلها فيرث << فونيمات صوتية وأطلق على الحركات فنولوجيا الظواهر التطريزية >> [6]

---

(1) ـ ينظر: علم الدلالة في الكتب العربية، دراسة لغوية في كتب التراث، د: أحمد عبد الرحمن حماد، دار القلم، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، (د ط)، (1407هـ /1986م)، 55 .

(2) ـ الخصائص، 466/2 .

(3) ـ المصدر نفسه، 509/1.

(4) ـ المصدر نفسه، 509/1 .

* ـ العالم الانجليزي .

(5) ـ ينظر: علم اللغة العام، الأصوات، د/ كمال بشير، دار المعارف، مصر، (د ط) ، (1989م) 48 ، 49 .

(6) ـ علم الدلالة في الكتب العربية، د/أحمد عبد الرحمن حماد، 57 .

وابن جني لا يغفل الحركات في صناعة المعنى فيرى أن الكلمة ــ الفعل مثلا ــ تحمل دلالة لفظية، وأخرى صناعية، وثالثة معنوية، يقول في ذلك:<< ألا ترى إلى "قام" ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه >> [1] .

ولي في الكلام السابق تحليل لتقريب الفكرة، وللتوضيح أقترح المخطط الآتي:

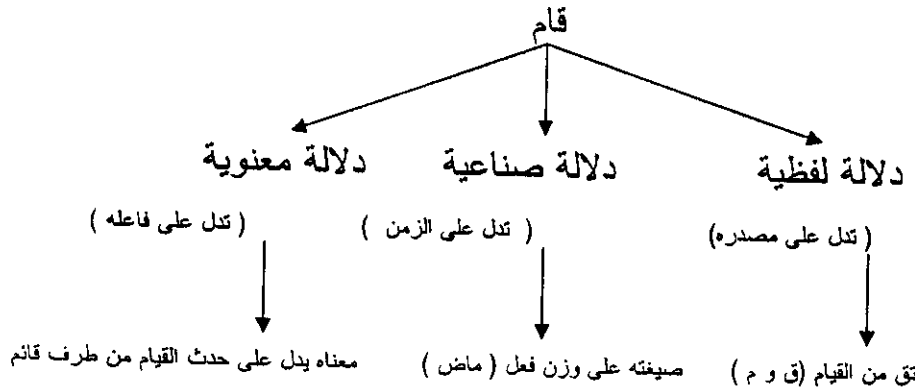

ولا يكتفي ابن جني بهذا إنما يضيف بأن يرتب هذه الدلالات، فهي عنده << أقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية >> [2]، هذه القوة والضعف يستدل لها ابن جني بالظهور والوضوح، فاللفظ ظاهر وواضح ومن هنا يمتلك قوته، أما الصيغة فهي حركات يحملها اللفظ فتلحق به، ولذا فهي أقوى من المعنى الذي يدخل ضمن التصورات الذهنية فهو عنده << لاحق بعلوم الاستدلال وليس في خبر الضروريات >>[3].

إضافة إلى ما جاء به صاحب كتاب الخصائص يضيف صاحب كتاب علم الدلالة في الكتب العربية أن (النغمة الكلامية هي أيضا من مظاهر الدلالة الصوتية، ونسب لابن جني السبق إلى إظهار هذه الحقيقة العلمية اللغوية) [4].

---

(1) ــ الخصائص، 328/2 .
(2) ــ المصدر نفسه، 328/2
(3) ــ المصدر نفسه، 328/2 .
(4) ــ ينظر: علم الدلالة في الكتب العربية، د: أحمد عبد الرحمن حماد، 58 ، 59 .

3/ الدلالة الصرفية:

يعرفها أحدهم على أنها: << ما تدل عليه بعض الصيغ الصرفية للأفعال والأسماء >>[1]، وقد أشار ابن جني لهذا حينما تحدث عن " إمساس الألفاظ أشباه المعاني" يقول فيه: << اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته >> [2]، ويشير إلى علاقة الصيغ الصرفية بمعانيها بقوله: << وأما ما جاء على وزن فاعَل أي بزيادة ألف في الوسط فإنه للدلالة على المشاركة في الفعل، وأما فعَّل للتكثير نحو غلَّق الأبواب، وقطَّع الحبال، وكسَّر الجرار) [3].

بناء على ما سبق نجد في الخصائص إشارات، بل تصريحات عديدة تؤكد إدراك صاحبه لعلاقة الأبنية بدلالاتها، ولعل في هذا تقاطع بين رؤى ابن جني والدرس اللغوي الحديث.

4/ الدلالة النحوية:

تعرف بأنها: << الدلالة التي تستمد من العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا في الجملة حسب قوانين اللغة >> [4]، ويعرف ابن جني النحو بأنه: << انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب غيره ...>> [5]، ويقول في تعريف الإعراب: << هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ... >> [6].

وقد اهتم ابن جني بالدلالة النحوية، لأنه أدرك أن الكلمة الواحدة يمكن أن تحمل دلالات مختلفة وهذا حسب السياق الذي تأتي فيه، فقد تكون فاعلا في تركيب، ومفعولا في غيره، وهذا ما قاله: << النحو إنما هو لمعرفة أنفس الكلم المنتقلة ... >>[7].

---

(1) – فصول في علم اللغة العام، د: الروديني ،253 .
(2) – الخصائص، 505/1 .
(3) – المصدر نفسه، 507/1 ، 508 .
(4) – علم الدلالة في الكتب العربية، د/أحمد عبد الرحمن حماد، 61 .
(5) – المصدر السابق، 88/1 .
(6) – المصدر نفسه، 89/1 .
(7) – المصدر نفسه، 88/1 .

وبعد هذا لا يمكن إلا أن ابن جني توصل إلى تصنيف الدلالات اللغوية، فجعلها معجمية " اجتماعية وصرفية وصوتية ونحوية"، أما دوسوسير وغيره من علماء الغرب فلهم فضل الريادة في منهجية هذه النظريات وجعلها في إطارها العلمي المعروف في الدرس اللغوي الحديث.

خلاصة:

قد تبين من خلال هذا الفصل أن صاحب كتاب الخصائص درس اللغة العربية وفق منهج وصفي، إلا أن هذا الفصل قد تمكن من إبراز كيفية استخدام هذا المنهج في البحث المستوياتي.

فأبو الفتح تكشف اللغة وسبر أغوارها قصد معرفة خصائص كل مستوى على حدة، فهو لم يكن ببعيد عن التصنيفات التي نادى بها الدرس اللغوي الحديث، إذ نجده تعرض للمستوى الصوتي بشقيه (الفونولوجيا، والفونوتيك)، وحرص على دراسة المستوى الصرفي باعتماد شكل بنية الكلمة والتحولات التي تطرأ عليها.

أما المستوى النحوي فكان فيه بنيويا وصفيا ــ إلى أبعد الحدود ــ وهذا من خلال توظيفه لقواعد التحويل والاستبدال، وكان المستوى الدلالي حاضرا في الخصائص إذ اعتنى ابن جني عناية كبيرة بعلاقة اللفظ بمعناه، وتعددت الدلالة عنده من صوتية إلى صرفية، إلى نحوية، وإن كان المستوى اللغوي يحكم الدلالة فإن المجتمع عنده ــ أيضا ــ يتحكم في حصول الدلالة الاجتماعية.

الفصل الرابع: سمات التفكير العلمي في كتاب الخصائص

المبحث الأول: التراكمية.

المبحث الثاني : التنظيم.

المبحث الثالث: البحث عن الأسباب.

المبحث الرابع: الدقة والتجريد.

المبحث الخامس: الشمولية واليقين.

الفصل الرابع: سمات التفكير العلمي في كتاب الخصائص

يتناول هذا الفصل مقاربة بين سمات التفكير العلمي الخمس، وما جاء في الخصائص، مع الاستفادة مما جاء في الفصول السابقة. لهذا جاء مقسما إلى خمسة مباحث؛ هي: التراكمية، والتنظيم، والبحث عن الأسباب، والدقة والتجريد، والشمولية واليقين.

المبحث الأول: التراكمية:

هذه السمة تؤكد أن المعرفة العلمية لا تكون من العدم، بل لا بد للعالم أو الباحث أن يتصل بمعارف سابقيه.

وإن كان هذا فيما يخص المعرفة الإنسانية عامة، فإن: (الأمر نفسه يحصل مع المعرفة " اللغوية "؛ بمعنى أن كل نظرية أو منهج جديد يظهر في علم اللغة ليس مقطوع الصلة بما سبقه من النظريات والمناهج، بل يمكن أن يوضح اللغوي جوانب القصور في مصنفات السابقين)[1].

ضمن ابن جني الخصائص معارف عديدة يمكن تقسيمها إلى قسمين: معارف لغوية، وأخرى علمية.

أ ـ المعارف اللغوية:

تضمن الكتاب معارف لغوية ورثها المصنف عن سلفه من أمثال: الخليل[2]، سيبويه[3]، والكسائي[4]، والمبرد[5]، وأبي علي الفارسي[6]، فهو حين يتحدث عن قضية لغوية سبقه غيره فيها لا يتحرج من ذكر اسم أول من باحثها، وللتمثيل لا

---

(1) ـ ينظر: منهج البحث اللغوي، محمود سلمان ياقوت، 97 .
(2) ـ الخصائص، 66/1، 94، 133، 286 ، 493 .
(3) ـ المصدر نفسه، 81/1 ، 104 ، 235 ، 81/2
(4) ـ المصدر نفسه، 455/1 ، 25/2 ، 94 ، 164 ، 487 .
(5) ـ المصدر نفسه، 472/1 . .
(6) ـ المصدر نفسه، 47/1 ، 133/2.

الحصر نذكر إقرارَه بأسبقية "أبي بكر بن السراج "[1] في التأليف في علم أصول النحو، وإن لم يكن يعترف بإصابته الغرض.

كما أنه مما يدل على اطلاعه على معارف غيره من اللغويين، ما جاء به من حديث عن معجم العين[2]، ومعجم تهذيب اللغة[3]، وهنا لا بد أن أذكر أنه درس خصائص اللغة في مستويات مختلفة، وفيما يلي حديث عن تأثره بالسابقين له من اللغويين، واختص البحث بذكر ثلاثة منهم.

ـ I ـ أبي علي الفارسي: أول شخصية تطالعنا في كتاب الخصائص هي اسم أستاذه أبي علي الفارسي؛ الذي يقول فيه: << ولله هو! وعليه رحمته >>[4]، وهو لا يخرج من مسألة من المسائل اللغوية إلا وأورد رأيه، وإن لم يكن له دليل موضوعي، ومثال ذلك في تردده بالقطع (بأن اللغة وحي وتوقيف ...) [5].

ومن المواضع التي احتج فيها برأي أبي علي قوله في معاني الشعر: << نبهنا أبو علي ـ رحمه الله ـ من هذا الموضع على أغراض حسنة >> [6]، إضافة إلى ذلك إيراده رأي أبي علي في (محل الحركات الإعرابية من الحروف)[7].

من خلال النصوص السابقة يحصل عند المطلع على كتاب الخصائص يقين بأن ابن جني اعتنى أيما عناية بآراء شيخه، فتولد عنده شبه إلحاح على إيراد آرائه وإن لم تستند إلى الحجة القوية أحيانا، لهذا يقول شوقي ضيف: << ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بعد ذلك أن ابن جني في كتابه الخصائص إنما استمده من إملاءات أبي علي وملاحظاته >> [8].

---

(1) ـ المصدر نفسه، 136/1، 139، 249 ، 373 ، 384 ، 248/2 ، 509 .
(2) ـ الخصائص، 67/1 ، 190 ، 200 ، 237 ، 504 .
(3) ـ المصدر نفسه، 472/1 .
(4) ـ المصدر نفسه، 286/1 .
(5) ـ ينظر: المصدر نفسه، 47/1 .
(6) ـ المصدر نفسه، 133/2 .
(7) ـ ينظر: المصدر نفسه، 32/2 .
(8) ـ المدارس النحوية، شوقي ضيف، 259 .

مع هذا التقدير كله لآراء شيخه نجده << ينقده بأدب، في ذهابه إلى أن الحركة تحدث مع الحرف، لا قبله ولا بعده، على حين يرى ابن جني: أن موضعها يكون بعد الحرف >>[1].

ـ 2 ـ الخليل (ت 175هـ)[2]

تناول ابن جني بالحديث معجم العين، ونسبه للخليل، فوقع فيما وقع في الشك والتشكيك، وقد بالغ في تشكيكه في نسبة المعجم للخليل، واستدل لموقفه هذا بأن في المعجم خلط يمنع من أن يكون الخليل واضعه، ولم يترك للخليل حظا في العين سوى الإيماء.

ـ 3 ـ سيبويه: (ت180 هـ)[3]

حاكى ابن جني إمام النحاة ـ سيبويه ـ في مواضع عدة، منها عندما تبعه في رتبة الحركة من الحرف، وقد انتصر له في مجموعة مواقف وردت سابقا في جزئية مسائل الخلاف.

وليس العلماء الثلاثة وحدهم من كان لهم حظ في كتاب الخصائص، فإلى جانب هؤلاء نجد صاحبه يورد علماء كثرا أمثال: أبي عمرو بن العلاء[4]، والكسائي[5]، والأصمعي[6]، وثعلب[7]، وقطرب[8]. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه على موارد اللغة العربية، ليسهل عليه بعد ذلك استنباط خصائصها.

---

(1) ـ دراسات نقدية في اللغة والنحو، د: كاصد الزيدي، دار أسامة، عمان الأردن، ط/1 ، (2003م)، 112 ، وينظر: الخصائص 227/1 ، 326 ، 422 ، 492/2 .

(2) ـ المصدر نفسه، 216/1 .

(3) ـ المصدر نفسه، 313/1.

(4) ـ المصدر نفسه، 126/1 ، 502/2 .

(5) ـ المصدر نفسه، 455/1 .

(6) ـ المصدر نفسه، 138/1 .

(7) ـ المصدر نفسه، 339/1 ، 384 ، 399 ، 428، 504/2 ، .

(8) ـ المصدر نفسه، 221/2 ، 366 ، 425 ، 458.

كما أن ابن جني أخذ اللغة من أفواه الرواة، ومن هؤلاء الذين ذكروا في الخصائص نجد: أبا مهدية[1]، وذا الرمة[2]، والحسن البصري[3]، وغيرهم كثير.

ب ـ المعارف العلمية:

تمكن ابن جني من أن يجعل بعض المعارف التي اكتسبها من علوم أخرى طيعة لخدمة الدرس اللغوي، وهذا << بحكم الثقافة التي دأب عليها ابن جني في عصره ... >>[4]. وهو لا يخفي تأثره هذا من خلال توجهه إلى علمي الكلام وأصول الفقه، وذلك ما يقره في قوله: << وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه >>[5].

وبعد هذا الإقرار فإنه صار لزاما عرض القضايا التي تبرز تأثر صاحب الخصائص بالعلمين في كتابه، وسيتم تخير بعضها.

ـ 1ـ علم أصول الفقه:

بداية لا بد من معرفة هذا العلم ثم يلي ذلك حديث عن كيفية توظيف ابن جني له في القضايا اللغوية.

ـ تعريفه: يعرف علم أصول الفقه في "موافقات" الشاطبي بأنه: << العلم الذي يهدف إلى التعرف على كيفية استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية >>[6].

ـ توظيف ابن جني له في القضايا اللغوية: ما يصدق توظيف ابن جني لمعارفه الأصولية في درسه اللغوي هو استخدامه لمصطلحات أصول الفقه: كالسماع[7]

---

(1) ـ الخصائص، 412/1 ، 226/2 .
(2) ـ المصدر نفسه، 326/1 ، 327 .
(3) ـ المصدر نفسه، 227/2 .
(4) ـ تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، بلملياني بن عمر، 35 .
(5) ـ المصدر السابق، 3/1 .
(6) ـ الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، اعتنى به الشيخ إبراهيم لمهمل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، 7/1 .
(7) ـ المصدر السابق، 142/1 ، 156 .

والقياس[1]، والاستحسان[2]، وإن كان المصطلحان الأولان في غنى عن التعريف؛ فالمصطلح الثالث هو أحوجهم إليه، وهو: << الاعتماد عند ترجيح حكم على الاتساع والتصرف، دون علة قوية ...، وبهذا يصبح من الأدلة الضعيفة >> [3].

يقول ابن جني في علة الاستحسان*: << وجماعه أن علته ضعيفة غير مستحكمة، إلا أن فيه ضربا من الاتساع والتصرف، ومنه: قولهم: رجل غديان، وعشيان، وقياسه غدوان، وعشوان، لأنهما من "غدوت" ...>>[4]، ويضيف مثالا آخر: << استحوذ وأغيلت المرأة ... >> [5].

ومما يؤكد مذهبه الحنفي أنه لم يعتد بالاستصحاب، ودليل ذلك أنه لم يورد المصطلح في كتاب الخصائص، ولم يحتج به، فابن جني لم يتحدث عنه لدافع زمني* فقط، بل لأنه حنفي << وأكثر الحنفية على ضعف حجة الاستصحاب>>[6].

إضافة إلى ما تقدم ذكره نجد في الخصائص مقارنة بين علل النحاة وعلل الفقهاء، إذ يباعد بينهما، وهذا في قوله: << اعلم أن علل النحويين ــ وأعني بهم حذاقهم المتفننين لا ألفافهم المستضعفين ــ أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين >> [7].

---

(1) – الخصائص، 156/1 ، 422 .

(2) – المصدر نفسه، 169/1 .

(3) – الأصول (دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، تمام حسان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، (دط)، (1988)، 176.

* – الاستحسان من مصطلحات أصول الفقه وهو أحد الأدلة عند الحنفية (ينظر: المصفى في أصول الفقه، أ: أحمد بن محمد بن علي الوزير، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، (د ط)، (2002م)، 411).

(4) – المصدر السابق، 169/1 .

(5) – المصدر نفسه، 169/1.

* ــ مصطلح الاستصحاب لم يظهر إلا في القرن الرابع الهجري.

(6) – نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، د: حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، الأردن، ط/1 (2001م)، 60.

(7) – المصدر السابق، 100/1 .

والنص السابق يدل على إدراك ابن جني لخصائص علل الفقهاء، فهي: << أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجود الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا >> [1].

تمثل هذه المقارنة إبرازا للاختلاف الموجود بين العلل النحوية والفقهية، فعلل النحو تحيل إلى الحس اللغوي؛ كالخفة، والثقل، يمكن التوصل إلى إدراكها بالتحليل والتعليل، بينما علل الفقهاء ما هي إلا إشارة لحدوث الحكم الفقهي، لا يمكن الاستدلال عليها، عرفها بقوله: << أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجود الحكمة فيها خفية عنا غير بادية الصفحة لنا >> [2].

ـ 2 ـ علم الكلام: لا يمكن فصل ثقافة ابن جني عن هذا العلم، لأنه منهج شائع في عصره، وهو معتزلي المذهب الكلامي، وهنا سأناقش بعض القضايا التي أودعها كتاب الخصائص والتي بدا فيها الفكر الاعتزالي واضحا.

أولا: اللغة أهي توقيف أم اصطلاح؟ هذه القضية عند المعتزلة* [3] مرتبطة بمبدئي التوحيد وخلق القرآن، ذلك أنهم يريدون من وراء ذلك إثبات أزلية الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ولأجل ذلك فهم على مذهب الاصطلاح.

يقول ابن جني في ذلك: << ... غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف >> [4]، إلا أن الغريب في الأمر هو أن ابن جني لا يصمت عند هذا الرأي بل يضيف قولا آخر يذكر فيه

---

[1] ـ الخصائص،100/1 .

[2] ـ المصدر نفسه، 100/1 .

* المعتزلة: فرقة كلامية ، يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بـ"القدرية" و"العدلية"، يقولون بأنه من أثبت معنى صفة قديمة أثبت إلهين، وهذا معنى التوحيد لديهم، صفة العلم في ذات الله، فهو عالم بذاته لا بعلم، والخلق عندهم " إرادة الله غير المراد، فإرادته لما خلق في خلقه له.
تطلق عليهم صفة الاعتزال لأنهم اعتزلوا كل الأقوال المحدثة والمخيرة.

[3] ـ ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار صادر، بيروت، (د ط)، (1406هـ / 1986م)، 46/1، 50 ، 53 . وباب ذكر المعتزلة من كتاب: المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، أحمد بن يحيى بن المرتضى، صح: توما أرنلد، دار صادر، بيروت، (د ط) (1316هـ) ، 2 ، 78 ، 143.

[4] ـ المصدر السابق، 94/1 .

الرأي المناقض بقوله: << ... إلا أن أبا علي ــ رحمه الله ــ قال لي يوما: هي من عند الله >> [1].

لكن المتأمل في قوله لا يجد في رأيه تناقضا أو اضطرابا، بل إنه لم يرد من خلال ذلك إلا الموضوعية والأمانة في نقل المعلومة، ولعل قوله: << يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن تواضع عليها ... >> [2] هو ما يؤكد ذلك.

ثانيا: الحقيقة والمجاز*: يقول أحد البحثة إن (المعتزلة تناولوا موضوع الحقيقة والمجاز ومناقشة آراء غيرهم من اللغويين في قضية وقوع المجاز وبخاصة في النص القرآني) [3].

واللغة ــ عامة ــ عند ابن جني تندرج تحت المجاز << أكثر هذه اللغة الشريفة جار على المجاز، وقلما يخرج شيء فيها على الحقيقة ... وأكثر الأفعال في اللغة ــ مع تأمله ــ مجاز لا حقيقة، نحو: " قام زيد "، ألا ترى أن الفعل يفاد منه معنى الجنسية، والجنس يطبق جميع الأزمنة والكائنات، فقولنا: " قام زيد " إنما هو على وضع الكل موضع البعض >> [4].

فهو يريد أن إطلاق الفعل على زيد ــ مثلا ــ لا يعني أنه لصيق به وحده، فيمكن أن يطلق على شخص آخر من جنسه، أو من جنس آخر. فهو متأثر ــ بلا شك ــ بمعتقدات المعتزلة حين يؤكد أن الأفعال المنسوبة كلها تطلق على سبيل المجاز لا الحقيقة.

فلو كانت الأفعال تنسب حقيقة لأصحابها لكان هناك تطابق بين الجمل، << انطلق محمد، وجاء الليل، وانصرم النهار، وكذلك أفعال القديم سبحانه، نحو:

---

(1) ــ الخصائص، 94/1 .

(2) ــ المصدر نفسه، 94/1 .

* المقصود بالمجاز هنا استعمال لفظ مكان لفظ آخر لعلة بينهما، وليس المجاز البلاغي الذي تلمس فيه مواطن الجمال الأسلوبي.

(3) ــ ينظر: التصور اللغوي في الفكر الاعتزالي، مقاربة تأويلية في مشكلات المعرفة، د: مختار لزعر، دار الأديب، وهران، سلسلة اللسانيات، (د ط)، (د ت)، 107 .

(4) ــ المصدر السابق، 213/2 .

خلق الله السماء والأرض ... ألا ترى أنه عز اسمه لم يكن منه بذلك خلق أفعالنا، ولو كان حقيقة لا مجازا لكان خالقا للكفر والعدوان >> [1].

وابن جني هنا ــ كما يقول الدكتور هنداوي ــ : (يتبع المعتزلة في أنهم لا يرون أن الكفر والعدوان مخلوقان)[2].

وأكثر ما يؤكد اعتزالية ابن جني في الخصائص ما عثر عليه في " باب أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة " قوله ما نصه: << ... وكذلك علم الله على قيام زيد مجاز أيضا لأنه ليس الحال التي عليها قيام زيد هي الحال التي عليها قعود عمرو، ولسنا نثبت له سبحانه علما؛ لأنه عالم بنفسه>>[3].

فما من شك ــ بعد هذا ــ أن صاحب الخصائص يؤكد اعتقاد المعتزلة بأن علم الله بالأشياء لا يكون بقدرة خارجة عن ذاته ــ عز وجل ــ، أو بمعنى آخر لا يكون علمه ــ سبحانه وتعالى ــ بعلم، وإنما هو عالم بنفسه.

فصاحب الخصائص هنا يؤكد لنا أن العالم في تفكيره يستفيد من الحصيلة المعرفية التي توصل إليها البشر في ذلك الميدان المعين من العلم أو غيره من الميادين.

المبحث الثاني: التنظيم:

يتفق جل الباحثين على أن صفة النظام هي الصفة التي تكسب التفكير سمة العلمية، فمحمود سليمان ياقوت ــ مثلا ــ (يرفض أن يطلق العنان للتفكير العلمي دونما ربطه بمنهج يسير وفقه الباحث للوصول إلى نتائج) [4].

ويضيف نفس الباحث واصفا ما فعله المنهج بالدرس اللغوي قائلا: << قد استطاع علم اللغة الحديث الوصول بالدرس اللغوي إلى العلمية ...وبهذا يمكن القول أن صفة التنظيم تحمل مكانة في البحث العلمي ... >> [5].

---

(1) ــ الخصائص، 213/2 .
(2) ــ ينظر: المصدر نفسه، 213/2 (كلام المحقق في الهامش).
(3) ــ المصدر نفسه، 213/2 .
(4) ــ ينظر: منهج البحث اللغوي، د: محمود سليمان ياقوت، 98
(5) ــ المرجع نفسه، 99 .

وقريب من هذا الأمر ما جاء به ابن جني في خصائصه، إذ كان منهجه مناسبا للظاهرة اللغوية، فمثل الوصفية البنيوية إلى أبعد حد. << تحدث عن بناء العربية اللغوي وفلسفته المبنية على الخفة الناشئة عن عدة الحروف المكون منها البناء، وحركاتها وسكناتها، وتطور المعلات منها>> [1].

وأبواب الخصائص شملت الدرس اللغوي بكامل مستوياته، وقد تناولها بمنهج وصفي رصين، فهو في الحدود والتعريفات ــ مثلا ــ يعرف اللغة تعريفا موافقا للتعريف الذي جاء به المنهج الحديث بقوله: << ... أما حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ... >> [2].

بمقارنة تأويلية بسيطة يتوصل إلى أن (تفكير ابن جني اللغوي لا يتعارض والتفكير الحداثي اللغوي) [3]، فهذا يقودنا إلى التقاطع الحاصل بين هذا التعريف، وما جاء به دو سوسير حين تحدث عن اجتماعية اللغة.

هذا عن المنهج، أما عن المنهجية؛ وهي (تختص بالنمط الشكلي للمؤلف)[4]، فلها دور بالغ في تنظيم العمل وإظهاره على أحسن شاكلة.

فابن جني يضمن مقدمة الخصائص حديثا عن منهجه وذكر المؤلفات السابقة التي تناولت الموضوع، وكذا ذكر الهدف من البحث >> [5]، فإنه يؤكد على نظرية تنظيمية في البحث العلمي.

ومن الأمور المنهجية التنظيمية التي ظهرت في كتاب الخصائص، أن صاحبه حينما يحمل بابا عنوانا يأتي مباشرة ويفصل فيه، فيعرف حده، أو يظهر مواطن استعماله، وما هذا إلا تبسيطا للفكرة، وتدرجا من المجمل إلى المفصل،

---

(1) – عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جني،د:عبد الغفار حامد هلال،مجلة فكر وإبداع،ع34، (2006م)،57.

(2) – الخصائص، 33/1

(3) – تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، بلمليانى بن عمر، 13 .

(4) – ينظر: ظاهرة الإعراب، في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د: أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط/1، (1401هـ / 1981م)، 142

(5) – الخصائص، 3/1 .

وهذه طريقة منهجية تساعد القارئ على تنظيم المعلومات التي يتدرج فيها من خلال اطلاعه على الكتاب.

المبحث الثالث: البحث عن الأسباب:

لا يمكن للعالم أن يتقبل أي ظاهرة دون أن يعرف أسبابها، ثم إن (معرفة سبب الظاهرة يؤدي إلى دقة تفسيرها وفهمها) [1].

فالتعليل النحوي عند ابن جني يمثل أحد (أهم الدعائم التي يدافع عنها، ويسخرها في بناء نظريته وبرمجة منهجه) [2].

وقد سبق الحديث عن نظريتي العلة والعامل النحويين في كتاب الخصائص، وهما نظريتان ترسخان مبدأ البحث عن الأسباب في تفكير ابن جني العلمي.

وجملة القول فإن تفكير ابن جني اللغوي، مرتبط بالتعليل إلى حد بعيد، ولأن الموضوع سبق الحديث عنه، لا يمكن في هذا المقام ــ ومخافة التكرار ــ إلا الإحالة إلى الفصل الثاني ففيه تفصيل الموضوع وبيانه.

المبحث الرابع: الدقة والتجريد:

أ ــ الدقة:

العالم المتخصص << يستخدم في تفكيره وفي التعبير عنه لغة متخصصة يستطيع أن يتداولها مع غيره من العلماء، هي لغة اصطلاحات ورموز متعارف عليها بينهم >> [3].

الدقة في المصطلح دليل ذيوعه وقبوله، وابن جني حيال المصطلح "النحوي" ويقصد بالنحو عندهم هو، ومن قبله الصرف، وكذلك الصوت. وهو حيال المصطلح أحد اثنين:

---

(1) ــ ينظر: منهج البحث اللغوي الحديث، د: سليمان ياقوت، 98 ، 99 .
(2) ــ ينظر: تراث ابن جني اللغوي والدرس الحديث، بلملياني بن عمر، 39 .
(3) ــ التفكير العلمي، فؤاد زكريا، 5 .

ـ إما متبع موافق على تسمية اصطلاح ما استعمل له، لا سيما إن كان ذلك الاصطلاح من ابتداع سيبويه، أو انحدر إلى سيبويه من الخليل، وهو إذ ذاك ليس متعبدا بمذهب البصرة ـ كما سبق الذكر ـ وهذا النوع يمكن التمثيل له، وأمثلته عديدة منها لفظ النحو[1] نفسه، ومنها لفظ العلة أو التعليل[2]، وهو مصطلح الخليل، أعمله سيبويه، وجاء به ابن جني[3].

ـ وإما مبتدع موجد للفظ الذي استعمله بعده غيره حتى صار مصطلحا، مثال ذلك ما يأتي من مصطلحات، والتي منها نحكم على دقته في وضع المصطلح:

ـ 1 ـ التصاقب[4]: هو جانب مغفل في العربية لا يكاد يعرف يقول فيه ابن جني: << هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلا مسهوا عنه ... >>[5]، ويصنف التصاقب إلى أضرب منها: (اقتران الأصلين، ثلاثيا أحدهما، ورباعيا صاحبه، أو رباعيا أحدهما، وخماسيا صاحبه، ك " دَمِث " و " دِمَثْر" و " سِبْط " و " سِبَطْر " ... ومنها اقتراب الأصلين الثلاثيين؛ ك " ضياط " و " ضيطار " ... ومنها التقديم والتأخير، أي تقليب الأصول)[6].

ويقصد ابن جني بالتصاقب التقارب، وتصاقب المباني يؤدي بالضرورة ـ عنده ـ إلى تصاقب المعاني.

ـ 2 ـ الدلالة الصناعية: هي: << صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها >>[7]، ويستقر وقد أطلق عليها اسم الصناعية لأنها تصنع معنى اللفظ بإحكام صيغته فتؤدي إلى تفسير الدلالة، ويقصد بذلك تغير الصوائت في صيغة الكلمة، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الثالث.

---

(1) ـ الخصائص، 88/1

(2) ـ ينظر: الكتاب، سيبويه، 16/1 ، 17 ، 22 ، 193/3 .

(3) ـ المصدر السابق، 100/1، 130 ، 189 ، 380/2 ، 384 .

(4) ـ المصدر نفسه، 499/1 .

(5) ـ المصدر نفسه، 499/1 .

(6) ـ ينظر: المصدر نفسه، 499/1 .

(7) ـ المصدر نفسه، 2/ 482 ، 483 .

ـ 3 ـ الاشتقاق الأكبر: سبق ذكره في أكثر من موضع، إلا أن وروده هنا لغرض تكشف دقة اختيار ابن جني للمصطلح، فالاشتقاق هو استخراج لفظة من غيرها، أما إضافة صفة الكبر له، فلأن مستخدمه ينحو به منحى آخر هو التأويل، هذا التأويل يكون بالصنعة لا في الحقيقة؛ فيرجع كل الألفاظ المستخرجة إلى معنى واحد.

ـ 4 ـ الصحل: مصطلح استخدمه ابن جني لوصف صوت الحاء إذ يرى << فيها معنى الصحل، وهو البحة في الصوت >> [1]، ولم يصفها بالخفاء ك" التاء " لأنها التقت فيها صفتان هما: "الهمس" و"بعد المخرج"، فتحول صوتها إلى بحة:

همس + بعد المخرج = معنى الصحل " البحة ".

ـ 5 ـ التصعد: << الطاء عند ابن جني متصعدة >> [2]، قصد بالتصعد الإطباق ولا شيء غيره، لأنه ذكر الاستعلاء بمصطلح السمو.

وله مصطلحات أخرى كان فيها مبتدعا؛ كالتفسير[3]، وشجاعة العربية[4]، والدور[5]، فابن جني وهو يباحث خصائص اللغة العربية يتخصص في هذا العلم بإحداث مصطلحات تمكنه من تمييز علمه هذا عن غيره من المعارف البشرية، إذ يتميز العلم بمصطلحاته، وتكون نتائجه دقيقة دقة المصطلح.

ومن الدقة أيضا تلك التصنيفات التي جاء بها حين فرق بين الأصوات اللغوية في المخرج والصفة، كما أنه حدد الصوامت والصوائت " الحركات، والسواكن "[6]، كما أنه ـ وحرصا منه على الدقة في التصنيف ـ يقسم الصوائت إلى نصفين؛ صوائت، وأنصاف صوائت.

---

(1) ـ الخصائص، 509/1 ، 512 .
(2) ـ المصدر نفسه، 509/1 ، 512 .
(3) ـ المصدر نفسه، 289/1 .
(4) ـ المصدر نفسه، 140/2 .
(5) ـ المصدر نفسه، 231/1 .
(6) ـ المصدر نفسه، 109/2 .

كما كان ابن جني دقيقا في تعريفه اللغة[1]، بالعود بها إلى أصغر مكون لها وهو الصوت، كما أثبت اجتماعيتها، وقصد المقاربة نأخذ برأي الباحث بلمليـــاني بن عمر في تعامله مع تعريف ابن جني للغة[2].

اللغة أصوات ←——— المادة الصوتية؛ الصوت اللغوي.

يعبر بها أداة ←——— تعبير لغوي.

يعبر بها كل قوم ←——— ظاهرة اجتماعية (التعبير+ التبليغ + التواصل).

تعبير عن الأغراض ←——— تمام البيان والدلالة على المعاني والأغراض.

ويتوصل صاحب المقاربة بعد هذا إلـــى أن هـــذا التعريـــف << يتقـــاطع والنظرية الحديثة في مجمل مصطلحاتها ومفاهيمها وقواعـــدها ومناهجهـــا >>[3]، فصاحب الخصائص كان دقيقا ــ إلى حد بعيد ــفي وضع التعريفـــات والحـــدود، وكذا في تعامله مع اللغة وخصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

ب ــ التجريد:

سبق الذكر أن التجريد يراد به البعد عن المحسوس، والتطلع إلـــى الإدراك الذهني، فابن جني وإن كان لا يخرج عن واقع الظاهرة اللغويـــة ــ فـــي أغلـــب الأحيان ــ إلا أنه يتحول أحيانا إلى تعليل هذه الظواهر تعليلا منطقيا، وفيه يبتعـــد عن المحسوس إلى المجردات.

ولعل أول قضية تصلح للتمثيل في هذا المجال، ما أسماه بالاشتقاق الأكبر.

ليس الغرض هنا إيراد تعريف لهذه الظاهرة التصريفية، وإنما المراد هو ما ذهب له ابن جني من رياضة عقلية حين أخذ يقلب أصول الكلمة ثم يردهـــا إلـــى معنى واحد بالصنعة والتأويل.

---

(1) ــ الخصائص، 87/1 .

(2) ــ تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، بلمليانى بن عمر، 17 .

(3) ــ المرجع نفسه، 17 .

من أمثلة ذلك تقاليب: << كمل، مكل، لمك، وتفيد كلها معنى القوة والشدة>> [1]، وتقليب << قول ، قلو، ولق، لقو، لوق، وتفيد كلها معنى الإسراع والخفة >>[2].

ويبرر ابن جني موقفه هذا بقوله: << لا تدعي أن الاشتقاق الأكبر مستمر في جميع اللغة، فهو لا يطرد ولا ينقاس في كل أصل، على أنك إذا أنعمت النظر ولاطفته، وتركت الضجر وتحاميته، لم تعدم قرب بعضها من بعض >>[3].

فمثلت هذه القضية نقطة ضعف وجهت من خلالها نقود لصاحب الخصائص << ولا تكاد تثبت النقود التي وجهت إليه في الاشتقاق الكبير، فيرى بعض الناقدين أنه أحرج اللغة التي يعشقها، ويرى بعضهم أن الأمثلة التي ساقها ابن جني للاشتقاق الكبير قليلة >> [4].

وإن كان هذا الرأي مرفوضا عند بعضهم بحجة أن: << ... المواد التي تحقق الاشتقاق الكبير كثيرة، فقد تتبع خطى ابن جني فيها بعض الباحثين قديما وحديثا ... >> [5]، ومهما يكن من أمر فإن مسألة الاشتقاق الكبير ــ سواء كثرت أمثلتها أو قلت ــ تعد مثالا جيدا عن التجريد في كتاب الخصائص، لأنه لا يمكن أن توجد كل تلك التقليبات في الرصيد اللغوي المستعمل لدى الجماعة اللغوية، كما أنه استخدم الإحصاء الرياضي لعد تلك الكلمات التي يحتمل تكوينها من الأصل الواحد، " وعلم الرياضيات قمة التجريد ".

إضافة إلى ما سبق بدا التفكير التجريدي عند ابن جني في خصائصه عندما << حاول أن يجد لكل ظاهرة لغوية " تفسيرا عقليا" سواء ما اتصل منها بأحكام الإعراب، أو ما اتصل بالفروض والظنون الجدلية >> [6].

---

(1) ــ الخصائص، 68/1 ، 490/1 .
(2) ــ المصدر نفسه، 59/1 ، 66 .
(3) ــ المصدر نفسه، 67/1 .
(4) ــ تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، بلمليانى بن عمر، 63 .
(5) ــ المرجع نفسه، 63 ، 64 .
(6) ــ المرجع نفسه، 40 .

تجاوز ابن جني منطق البنية اللغوية إلى المنطق التجريدي الذي يتطلب من القارئ الإدراك العقلي عندما غالى في المقارنة بين الرباعي والخماسي قصد الوصول إلى قواعد مشتركة؛ أي أنه أراد إيجاد تقارب المعاني وإن لم يكن واقعا.

وشبيه بتلك الأمثلة الاستدلالية التي ساقها في (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، ومنه العسف والأسف، فالمنهج التفكيري اللغوي لدى ابن جني يثبت لنا عبقريته الفذة، وقدرته على إسقاط الإدراك الذهني في معالجة الظاهرة اللغوية.

المبحث الخامس: الشمولية واليقين:

أ ــ الشمولية:

تختلف المعرفة العلمية عن غيرها من المعارف أنها: << معرفة شاملة، بمعنى أنها تسري على جميع أمثلة الظاهرة التي يبحثها العالم، ولا شأن لها بالظواهر في صورتها الفردية، ويمتاز العلم بأنه يجمع الأشياء المتشابهة في الصورة التي تبدو مختلفة من حيث المادة تحت قانون واحد >> [1]، هذا ما قاله صاحب كتاب "مناهج البحث في اللغة".

وهو يقصد أن الشمولية في القاعدة العلمية تعطيها إمكانية التطبيق في الأزمنة والأمكنة المختلفة، شرط أن تشابه الظاهرة المدروسة، الظاهر السابقة التي وصل فيها إلى القانون الأول، وبهذا يمكن تعميمها.

أكاد أجزم في هذا الموضع أن هذه السمة توافق تقنية الاستقراء التي استخدمها ابن جني بقوة، وتوصل بها إلى عدة نتائج، و << الاستقراء هو المنهج العلمي الذي اتبعه واضع النحو في جمع المادة العلمية من أفواه الفصحاء لغرض تدوين ألفاظها ومعانيها وقواعدها الشاملة >>[2].

مثال ذلك: تقسيمه الكلام العربي إلى معرب ومبني، وللمزيد من الإطلاع فإن الفصل الثاني يحوي مبحثا خاصا بتقنية الاستقراء، يرجى العود إليه.

---

(1) – منهج البحث في اللغة، د: سليمان ياقوت، 99 .

(2) – المصطلحات النحوية في مقدمة ابن خلدون، د: محمد بن حمو مجلة المصطلح (مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية صناعة لمصطلح)، تصدر عن جامعة تلمسان، ع2، فبراير 2003م، 62 .

ومن مبادئ الشمولية أيضا نجد ابن جني << يشترط في العلة النحوية التعدي؛ أي أن " العلة إذا لم تتعد لم تصح "،»ومثال ذلك قول: من اعتل لبناء نحو كم، ومن، وما، وإذا، ونحو ذلك بأن هذه الأسماء لما كانت على حرفين شابهت بذلك ما جاء من الحروف على حرفين؛ نحو هل، وبل، وقد، قال: فلما شابهت الحرف من هذا الموضع وجب بناؤها، كما أن الحروف مبنية، وهذه علة غير متعدية، وذلك أنه كان يجب على هذا أن يبني ما كان من الأسماء أيضا على حرفين؛ نحو يد، وأخ، وأب، ودم، وفم، وحر، وهن، ونحو ذلك >> [1].

فالعلة إن لم تتعد الموضع الذي احتج بها له إلى غيره فهي علة فاسدة غير معتد بها، وابن جني في المقولة السابقة يبين لنا ذلك حين يقول: المعتل لبناء " كم، ومن، وما، وإذا ... " بأنها جاءت مبنية لكونها على حرفين فإنه يغفل موضعا آخر، أو كلمات أخر، جاءت على حرفين مثل: "يد، أخ، دم، ..." إلا أنها معربة، فالعلة المعتل بها غير متعدية لا يتوفر فيها شرط التعميم.

ب ــ اليقين:

بحث ابن جني عن اليقين في المسائل اللغوية، وهذا راجع لوعيه الفكري، إذ أنه صاحب ثقافة إسلامية [اعتزالية]، يبحث أصحابها عن الحجج العقلية التي يطمئن العقل إليها.

فهو في علله النحوية يبحث عن المبرر الملموس [المحسوس] إذ يجعلها أقرب إلى علل المتكلمة، وهم يبحثون في المسائل بحثا عن اليقينيات.

ثم إنه كان يتخير الرأي الذي يأخذ به، فقد سبق الحديث عن أخذه بآراء المدرستين، إلا أنه حينما لا يتيقن من علة أي مدرسة، فإنه يجتهد في إيجاد العلة التي لا ينتابه الشك فيها.

---

[1] ــ الخصائص، 196/1 .

ومثال ذلك: اجتهاده عند تفرده في إعمال ليس في المعارف، وكان الجمهور يرى عدم عملها فيها، وكذا حينما (جعل أدوات النداء حروفا تعمل في المنادى لنيابتها عن الأفعال)[1].

إضافة إلى ذلك فإنه بحث عن اليقين في تكراره لموضوعات سبق الحديث عنها، فموضوع العلة مثلا: في باب تخصيص العلل[2]، وباب الفرق بين العلة الموجبة وبين العلة المجوزة[3]، وباب العلة وعلة العلة[4]، وباب خلع الأدلة[5].

وما هذا التكرار إلا محاولة لإحداث اليقين في ذهن المطلع وكذا إحداثه في نفس المصنف أولا، وهو صاحب المذهب العقلاني اليقيني.

خلاصة:

تناول هذا الفصل بالدراسة مقاربة تأويلية لسمات التفكير العلمي في كتاب الخصائص. وهذا قصد تثبيت المعلومة وجمع شتات الفصول السابقة.

فالمطلع على الصفحات السابقة يدرك أن ابن جني حظي بنصيب وافر من الثقافة ، وهذا ما انجلى عنه توظيف تلك المعارف المختلفة لخدمة درسه اللغوي.

جاء كتاب الخصائص منظما منهجية ومنهجا، فالمنهجية تمثلت في الناحية الشكلية، أما المنهج فكان وصفيا. وإن كان الدرس اللغوي الحديث يستحق بأن يوصف بالعلم لوصفيته، فالدرس اللغوي عند ابن جني أولى بهذا الوصف.

فكر ابن جني العقلي (الاعتزالي) جعل منه لا يقتنع بالظاهرة اللغوية كما هي، إنما بحث عن المسببات لها، فالتفكير التعليلي يمثل سمة رئيسة في التفكير العلمي وهي البحث عن الأسباب.

وليس من المسوغ العلمي أن نجد دراسة تبتعد عن الدقة ــ فهي ضبط لمصطلحات العلم المدروس ــ وابن جني في هذا المجال تحرى الدقة إلى أبعد

---

(1) ــ ينظر: الخصائص، 277/2 .
(2) ــ المصدر نفسه، 178/1 .
(3) ــ المصدر نفسه، 196/1 .
(4) ــ المصدر نفسه، 200/1 .
(5) ــ المصدر نفسه، 527/1 .

الحدود في جهازه المصطلحي، فكان متبعا حينا ومبتكرا أحيانا. وهذا كله قصد الوصول بالمصطلح اللغوي إلى الدقة، كما وصل بفكره بعض الأحيان إلى التجريد.

خصيصة الشمولية تمثلت عند ابن جني في الاستقراء اللغوي (العلمي)، فهو إن تيقن من صحة القاعدة عممها على شبيهاتها.

خاتمة

كان المرتكز في هذه المباحثة لموضوع التفكير العلمي في الدرس اللغوي العربي على كتاب "الخصائص"، فدَرَسْتُه دراسة تحليلية، تبين لي منها أن ابن جني كان صاحب تفكير لغوي علمي، خاصة إذا ما تعلق الأمر بإدراكه لأسرار العربية، وخصائصها. فقد توصل إلى تلك الخصيصات بمباحثته العربية وفق منهج وصفي رصين، مكّنه من توظيف معارفه السابقة والتي ورثها عن أسلافه كما أنه لم يكتف بالوقوف على الظاهرة اللغوية كما هي، بل بحث عن أسباب وجودها، وهذا كان كله بدقة فائقة، وإن توصل إلى القاعدة عمَّمَها على جميع المواقف المشابهة لها، وإن لم يقتنع بعلة غيره بحث عن علة مقنعة يطمئن إليها، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

أ ــ يُظهر كتاب "الخصائص" تفكير ابن جني اللغوي، والذي تَبَدَّى فيه حسّه اللغوي.

ب ــ اتفقت منهجية ابن جني في التأليف ــ إلى أبعد الحدود ــ ومنهجية التأليف الحديثة.

ج ــ تتبع مؤلف "الخصائص" المادة اللغوية، وحلّلها، وعلّلَ ظواهرها.

د ــ أقرَّ ابن جني بمعارف غيره، كما أنه ابتدع في مواقع عدة مصطلحا، وتعليلا طلبا للدقة.

ه ــ باحث ابنُ جني اللغة العربية بمستوياتها متّخذا المنهج الوصفي أداة مناسبة لدراسة مادتها، والتحليل أداة للتصنيف.

و ــ تضمن كتاب "الخصائص" معارف عصره ــ القرن الهجري الرابع ــ وهذا ما يُظهر تراكمية المعرفة لدى مصنفه.

ز ــ مادة الكتاب مصنفة وفق منهج وصفي رصين يتفق كثيرا والمنهج اللساني الحديث.

ح ــ حوى كتاب "الخصائص" مواقف كثيرة بحث فيها صاحبه عن علل الظواهر اللغوية المتغيرة في الحدث الكلامي.

ط ــ مع أن ابن جني كان صاحب حس لغوي عال، إلا أنــه أخــذ فــي بعــض المواضع بالتجريد.

ي ــ اتّسمت دراسة ابن جني في "الخصائص" بالدقة، فهو لا يقبل بالطــارئ دون علة مقنعة.

ك ــ ضمن ابن جني كتابه قواعد لغوية شاملة، وبهذا نجده لا يتردد فــي إطــلاق قاعدة عامة على شبيهاتها إذا حصل عنده اليقين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر:

01ـ أساس البلاغة، الزمخشري ابن عمر، دار صادر، بيروت، ط/1 (1416هـ/1996م).

02ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، تح: محمد صبحي البدر، الدار النموذجية، صيدا لبنان، ط/1 ، (1424هـ/ 2003م).

03ـ باب ذكر المعتزلة من كتاب المنية والأصل في شرح كتاب الملل والنحل أحمد بن يحيى بن المرتضى، تح: توما أرند، دار صادر بيروت، (د ط) (1316هـ).

04ـ التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، (دط) (دت).

05ـ الخصائص، ابن جني، تح: د: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط/2، (1424هـ 2003م).

06ـ الكتاب، سيبويه أبي بكر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط/3، (1403هـ/1983م).

07 ـ تاريخ بغداد، أبو أحمد بن علي الخطيب، تح: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/1، (1417هـ/1997م).

08 ـ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/3 (1420هـ/1999م).

09 ـ علل النحو، ابن الوراق، تح: محمود محمد محمود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط/1، (1421هـ/ 2002م).

10ــ طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي محمد بن الحسن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، مصر، ط/2 ، (1984م).

11ــ الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، إعتنى به إبراهيم لمهمل، دار المعرفة بيروت لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 1.

12ــ الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي احمد الشهرستاني تح: محمد سيد كيلاني، دار صادر، بيروت، (د ط)، (1406هـ 1986م).

13ــ المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني، تح: مصطفى وآخرون مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ط/1، (1373هـ/1993م).

ثانيا: المعاجم:

01ــ تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر بيروت، (د ط) (د ت).

02ــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط/4 ، (1990م) مادة: (ت ف ك ر).

03ــ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت).

04ــ المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، لبنان، ط/2، (1994).

05ــ معجم الألفاظ والمعرفة في اللغة العربية، عادل عبد الجبار زايد، مكتبة لبنان ناشرون، ط/1 ، (1997م).

06ــ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب لبنان، (د ط)، (1982م).

07ــ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وعامل مهندس مكتبة لبنان ناشرون، ط/3 ، (1984م).

08ــ المعجم المفصل في الأدب، د: محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/1 ، (1413هـ/1993م).

ثالثا: المراجع:

01ـ الأصوات اللغوية، د: إبراهيم أنيس، دار وهران للطباعة والنشر، ط/ك (1975م).

02ـ الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، دار الشؤون الثقافية بغداد، (د ط)، (1988م) .

03ـ الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، د: محمد إبراهيم النبوسي، دار الفكر العلمي، (د ط)، (د ت).

04ـ تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، (دي سوسير نموذجا) بلملياني بن عمر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، (2006م).

05ـ التصور اللغوي في الفكر الاعتزالي، (مقارنة تأويلية في مشكلات المعرفة)، د: مختار لزعر، دار الأديب، وهران، (سلسلة اللسانيات).

06ـ التطبيق الصرفي، د: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان (دط)، (1404هـ/ 1994م).

07 ـ التفكير العلمي، فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د ط)، (دت).

08 ـ التفكير العلمي في النحو العربي (الاستقراء والتحليل والتعليل)، د: حسن خميس الملخ، دار الشروق (د ط)، (2002م).

09 ـ التفكير العلمي والتربية العلمية، د: يعقوب حسن نشوان، دار الفرقان، ط/2 (1404هـ/ 2005م).

10ـ دراسات في الدلالة والمعجم، د: رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب (دط)، (2001م).

11ـ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط/1، (1400هـ/1980م).

12ـ دراسات نقدية في اللغة والنحو، د: كاصد الزيدي، دار أسامة، عمان الأردن، ط/1 ، (2003م).

13 ــ رواية اللغة د: عبد الحميد الشلقاوي، دار المعارف، مصر، (د ط)،(دت).
14 ــ ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، د: أحمد سليمان ياقوت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط/1، (1401هـ/1981م).
15ــ علم اللغة العام، فردينان ديسوسير، تر: د: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، (1985م).
16ــ علم الدلالة في الكتب العربية، (دراسة لغوية في كتب التراث)، د: أحمد عبد الرحمان حماد، دار العلم، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ألفين (د ط) (1407هـ/ 1986م).
17 ــ اللغة بين المعيارية والوصفية، د: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، (د ط)، (1420هـ/1980م).
18 ــ اللغة العربية معناها ومبناها، د: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط/3 1418هـ/ 1998م).
19 ــ اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، (د ط)، (2002م).
20 ــ مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي الحديث، د: عبد الرحمان محمد العيسوي، وعبد الفتاح محمد العيسوي، دار راتب، (دط)، (1996ــ 1997م).
21 ــ مناهج البحث في اللغة، د: تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء، (د ط) (1407هـ/1980م).
22 ــ موسوعة التراث الفكري الإسلامي، د: محمد العربي الخطابي، دار المغرب الإسلامي، ط/2 ، (1998م).
23 ــ نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، د: حسن خميس الملخ، دار الشروق عمان الأردن، ط/1 ، (2001م).

24 ــ نظرية العامل في النحو العربي، بين القدماء والمحدثين، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان الأردن، ط/1 ، (2000م).

25 ــ فصول في علم اللغة العام، د: محمد علي عبد الكريم الديني، دار علم الكتب ليبيا، ط/1، (1423هـ/ 2002م).

26 ــ فقه اللغة في الكتب العربية، د: عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

27 ــ في علم الدلالة، محمد سعيد محمد، مكتبة زهراء الشرق، ط/1، (2002م).

28 ــ شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، المكتبة الثقافية بيروت، لبنان، (د ط)، 1373هـ 1953م).

29 ــ المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط/1 (د ت).

30 ــ المستشرقون والمناهج اللغوية، د: إسماعيل عمايرة، دار وائل عمان الأردن، ط/3 ، (2002م).

31 ــ النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) أ: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (1406هـ/1986م).

32 ــ النصوص اللغوية (نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة)، د: مازن المبارك، دار الفكر دمشق، ط/3، (1405هـ/ 1981م).

33 ــ العلة النحوية تاريخ وتطور (في نهاية القرن السادس الهجري) د: محمود حاسي الدرويش، الجامعة المستنصرية، تسلسل التقصي (د ط) (2002م).

34 ــ الفهارس المفصلة (خصائص ابن جني)، د: عبد الفتاح السيد، كتابات تراثية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط/1 ، (1997م).

35 ــ الوسائط اللغوية (أفول اللسانيات الكلية)، د: محمد الأدراغي، دار الأمان الرباط، ط/1 ، 1421هـ/2001م).

رابعا: المجلات:

1ـ تأملات في كتاب الخاطريات لابن جني، د: فوزي الشليب، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن، ع63، كانون الأول 2002م.

2ـ عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان ابن جني، د: عبد الغفار حامد هلال، مجلة فكر وإبداع، ع34، (2006م).

3ـ المصطلحات النحوية في مقدمة ابن خلدون، د: محمد بن حمو مجلة المصطلح (مجلة علمية أكاديمية تعنى بإشكالية صناعة لمصطلح)، تصدر عن جامعة تلمسان، ع2، فبراير 2003م.

فهرس الموضوعات

المقدمة	أ - ج
المدخل	5- 15
أولا : التفكير العلمي مفهومه وخصائصه	6- 11
ثانيا : التعريف بابن جني وكتاب الخصائص	11- 15
الفصل الأول : منهجية التأليف في كتاب الخصائص	16- 26
المبحث الأول : منهجية كتابة المقدمة في الخصائص	17- 19
المبحث الثاني : منهجية تبويب الخصائص	19- 21
المبحث الثالث : منهجية عنونة الأبواب	21- 26
الفصل الثاني : منهج ابن جني في الخصائص (تقنيات المنهج)	27- 46
المبحث الأول : الاستقراء	28- 33
المبحث الثاني : التحليل	33- 36
المبحث الثالث : التعليل	36- 46
الفصل الثالث : المستويات اللغوية في كتاب الخصائص .	47- 73
المبحث الأول : علم الصوت	48- 56
المبحث الثاني : علم الصرف	56- 60
المبحث الثالث : علم النحو	60- 68
المبحث الرابع : علم الدلالة	69- 73
الفصل الرابع : سمات التفكير العلمي في كتاب الخصائص .	74- 92
المبحث الأول : التراكميه	75- 82
المبحث الثاني : التنظيم	82- 84
المبحث الثالث : البحث عن الاسباب	84- 84
المبحث الرابع : الدقة والتجريد	84- 89
المبحث الخاس : الشمولية واليقين	89-91
الخاتمة	93-95
المصادر والمراجع	96-102
فهرس الموضوعات	103